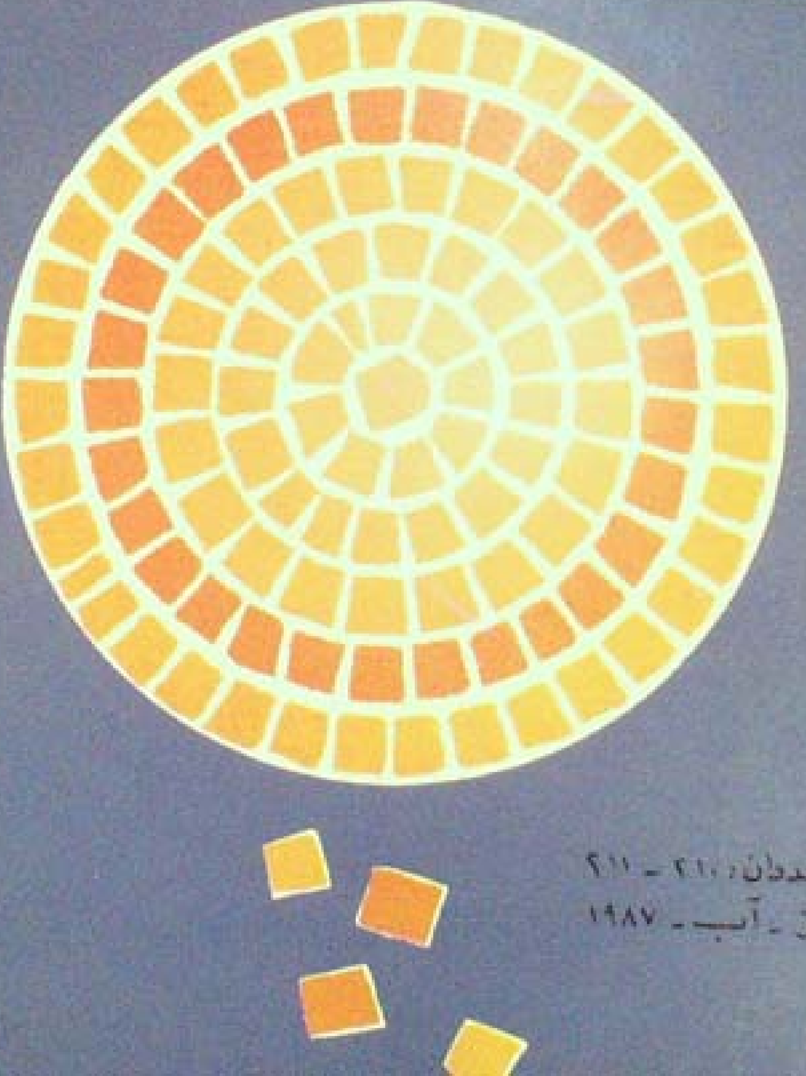
المناضل

في سبيل الوحدة والحرية والاشتراكية

المجلة الداخلية لحزب البعث العربي الاشتراكي، يصدرها مكتب الاعلام والنشر في القيادة القومية



العددان: ٢١٠ - ٢١١

تموز - آب - ١٩٨٧

المناضل

المحتويات

« المناضل ص . ب – ١١٥١٢ – دمشق »

المحتويات

« المناضل ص . ب – ١١٥١٢ – دمشق »

الافتتاحية

دلالات ومعان انسانية في الرحلة الفضائية

الرفيق الدكتور فواز صياغ

عضو القيادة القومية الاحتياط

رئيس هيئة التحرير

في الثاني والعشرين من تموز عام ١٩٨٧ دخلت سورية مرحلة جديدة عندما شاركت الاتحاد السوفييتي في رحلة الفضاء المعروفة وبهذا تكون العلاقات العربية السورية السوفييتية قد خطت خطوة كبيرة على طريق التقدم العلمي والتعاون التقني بالولوج الى آفاق الفضاء الرحبة .

ومع كل ما تحمله هذه المشاركة السورية من معان كبيرة في مثل هذه الظروف السياسية والعسكرية البالغة التعقيد في عالم اليوم ، فهي تحمل اضافة الى ذلك معاني انسانية سامية تهدف اول ما تهدف الى استخدام العلم في مصلحة البشرية ووضع الطاقات الهائلة التي وهبتها الطبيعة للانسان في موضع الخدمة لرقي البشر وتقدمهم

وازدهار حضارتهم ونمو اقتصادهم واستكشاف الثروات الطبيعية في بلادهم وبلدان اصدقائهم ووضعها في خدمة حركة التقدم والسلام المبني على العدل .

صحيح ان دولا اخرى قد غزت الفضاء منذ سنوات عديدة ووصلت في ذلك الى محاولات استخدامه لاغراض عدوانية هدفها استمرار نهبها الاستعماري واستغلال الدول الاخرى واخضاعها لمشيئتها الامبريالية ومحاولات استخدام ما توصل اليه الانسان في اغراض عسكرية عدوانية محضة،لكن ذلك لا يعني ابدا ان هذاالوجه من الاستخدام الفضائي هو الاستخدام الصحيح لسكان الكرة الارضية ، ويجب علينا بالتعاون مع الاصدقاء السوفيت ان نقدم النموذج الامثل للاستخدام السلمي للفضاء وامكاناته الواسعة في سبيل خدمة الشعوب التي تطمح الى عالم خال من النهب الامبريالي والتهديد باستخدام القوة ورفع مبدا « العصا الغليظة » لارهاب الشعوب والسيطرة على مقدراتها .

ان القيادة الحكيمة لحزب البعث العربي الاشتراكي ممثلة بالرفيق الامين العام للحزب رئيس الجمهورية عندما قررت المشاركة في هذا المشروع العلمي الضخم ، كانت تضع نصب عينها تلك المبادىء السامية التي تستقطب آمال دول العالم الثالث والشعوب المحبة للحرية والسلام القائم على العدل ، وهذه هي احدى السمات التي تميزت بها مبادىء حزبنا ورسالة امتنا الخالد ..

دراسات سياسية

دور العامل النفطي في السياسة الامريكية «شرق اوسطية»

الرفيق : د . ياسين سلمان

دخلت الولايات المتحدة الامريكية اللعبة الاستعمارية على الجبهة النفطية الشرق اوسطية منذ عشرينات هذا القرن . وقد اصبحت المسالة النفطية برمتها ،وبعد عدة قفزات حققتها الشركات الامريكية النفطية ، على اساس مبدا « الابواب المفتوحة والفرص المتكافئة » ، اصبحت منذ اوائل الخمسينات رهينة قوة وقرارات شركات النفط الاحتكارية السبع ، المعروفة باسم الشقيقات السبع . تلك التي غدت الكارتل الوحيد لصناعة النفط في العالم ، والتي تتحكم بنصف تجارة العالم وتسيطر على اهم التجمعات الراسمالية وتقرر معظم امور التنمية العالمية .

هذه الشركات : باختصار شديد،كانت وراء ظروف الهدنه بين اعوام ١٩٤٨ — ١٩٤٩ ؛ وتمديد خطوط التابلاين عام ١٩٥٠ والانقلاب

على مصدق في ايران عام ١٩٥٣ ، وتكوين حلف بغداد عام ١٩٥٥ وعدوان حزيران عام ١٩٦٧ ، وماتزال الى الان تلعب دورا بارزا في رسم السياسة الامريكية حيال منطقة الشرق الاوسط .

وهذه الشركات ، من الجانب الاقتصادي ، تحقق ٤٤٪ من ارباح الولايات المتحدة من استثماراتها الصناعية في الخارج .. ويعترف المؤولون الامريكيون انها ادخلت خلال الربع الاخير من هذا القرن (٣١) مليار دولار كارباح اضافية للولايات المتحدة .. وهذا الرقم يزيد بثلاث مرات عن احتياط الذهب الامريكي (١) .

وبعد ان تربعت الولايات المتحدة على عرش الطاقة ، وبالتالي على عرش السياسة العالمية ، عبر الترابط الوثيق بين **مشروع مارشال لاعادة اعمار اوروبا** ، والجبهة النفطية ، ارادت هذه الزعيمة الجديدة للامبريالية ايقاف حركة التاريخ في هذه المنطقة ومصادرة حاضرها ومستقبلها .. ولكن قوى التحرر العربي والعالمي في مواجهتها للاستعمار وبحثها عن طريق التحرر الاقتصادي ، بعد الاستقلال ، استطاعت ان تخلق حالة نهوض جماهيري فرضت واقعا جديدا ، كان من شأنه ان يقود الى تكوين منظمة اوبك ، كتعبير عن رفض الصلاحيات المطلقة ،الاقتصادية والسياسة ،للشقيقات السبع والطموح لخلق معطيات تسعيريه اكثر عدلا في موازنة اسعار الطاقه والخامات الاساسية بالسلع المصنعة ، لم البحث عن طريق التنمية الذاتية والاستقلال الاقتصادي .

حاولت الولايات المتحدة عرقلة خطوات اوبك وزرع التناقضات في هذه المنظمة الوليدة ، واعتبرت علنا ، ودون اية مواربة ، قضية الشركات قضيتها ، واخترعت اساليب عدة للاشراف والمشاركة والمساهمة للابتعاد عن التاميم او لتمييع الخطوات التحررية ، التي

(١) ـ بوريس راتشكوف النفط والسياسة الدولية ص ١٩ .

وجدت السلطات المعنية نفسها مجبرة عليها ، جراء ظروف تصاعد النشاط التحرري .

ولقد عبرت نيويورك تايمز عن قلق الولايات المتحدة من نتائج تلك التحولات بقولها : ((**لو ان الشركات النفطية ازيحت من منطقة الشرق الاوسط لاتفقت الدول الاوروبية على الاغلب مع الدول العربية واستخرجت النفط العربي بنفسها ، ولكان هذا سيعني بالنسبة للاقتصاد الامريكي ضياع ـ ٥ر١ ـ مليار دولار سنويا ، كما سيعني اضعاف التاثير السياسي الامريكي على اوروبا ولربما كانت النتيجة تقويض حلف الاطلسي وظهور وضع تكون فيه دول اوروبا الغربية شبيهة بفرنسا من حيث علاقتها بالولايات المتحدة الامريكية ، ولاصبحت اوروبا اكثر استقلالا عن الولايات المتحدة بما لايقاس مما هي عليه الان**)) (١) .

ولقد ذهب هذا القلق بالولايات المتحدة الى التحضير لعدوان الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ ((لقصم ظهر)) **حزب البعث العربي الاشتراكي والناصرية بزعامة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر** ((كطرفين لعبا دورا اساسيا في تهيئة المناخ الثوري الجماهيري الذي افضى الى خطوة اوبك)) (٢) ، والطموحات الرامية لتصفية الاستعمار الجديد .

ورغم كل التراجعات التي حصلت في منظمة اوبك ، وبالتالي في المواقف الرجعية العربية ، فقد فرضت ظروف حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣ على الدول النفطية ان تستجيب للمناخ الايجابي الذي خلقته الحرب وتبادر الى رفع اسعار النفط وتخفيض انتاجه وقطعه فعلا عن الولايات المتحدة الامريكية في كانون الاول عام ١٩٧٣ وحتى اذار عام ١٩٧٤ .

(١) ـ بوريس راتشكوف النفط والسياسة الدولية ص ٦٣ .

(٢) ـ مانع سعيد العتيبة اوبك والصناعة النفطية ص ١٥٥ .

وكانت الزيادة مجزية جدا هذه المرة ، **فقد قال الرفيق الامين العام للحزب حافظ الاسد : « احد القادة العرب قال لي بعد حرب تشرين : بقينا سنة ونصف السنة نتابع الشركات البترولية وشركات التسويق لكي تتفق معها على زيادة بالسنتات فلم تقبل وها انتم بعد حرب تشرين ترون نحن نجتمع على اي مستوى : رؤساء ، وزراء ، مدراء مؤسسات ونرفع بالدولار كما نشاء »(١) . ففي (١١) تشرين رفعت اوبك سعر برميل النفط من ٣ - ١٢ر٥ دولارا وفي كانون الاول الى ١١ر٦٥ ..**

كان موقف اوبك معبرا عن دمج النفط بالسياسة ، متجاوزة الاكذوبة الامريكية القائلة بابعاد الاقتصاد عن السياسة ، رغم انها هي التي تستخدمه بحدة ، سواء في اجهاض ثورة مصدق او ضد كوبا او ضد الاتحاد السوفياتي ، او ضد القطر العربي السوري الصامد في وجه المخططات الامبريالية .. حذرت الولايات المتحدة من استمرار استخدام النفط في السياسة ولكن ظروف الثورة الايرانية والتخزين النفطي دفعت الزيادات في الاسعار بين ١٩٧٩ - ١٩٨٠ الى ٣٧ دولار للبرميل الواحد من النفط .

بعض الكتابات تثبت ان زيادة اسعار النفط جاءت نتيجة رغبة الشركات وتخطيطها ، وبالتالي فان هذه الزيادة صبت باتجاه دعم الدولار والاقتصاد الامريكي وخدمة السياسة الامريكية في العالم . وبصرف النظر عن هذه الكتابات وتعقيدات المسالة السعرية واستفادة الشركات الاحتكارية منها ، فان هذا لايقلل من اهمية زيادة هذه الاسعار باعتبارها انجازا وطنيا وعملا معاديا للاحتكارات النفطية الامبريالية ، العمل الذي فرضته حرب تشرين عام ١٩٧٣ . واذا كانت بعض البلدان قد استخدمتها ، اي الزيادة ، لدعم الاقتصاد الراسمالي العالمي والرجعية الدولية ، وزيادة التبعية للغرب ، فقد

(١) - مكتب الثقافة والاعداد القومي استراتيجيتنا النضالية وابعادالمرحلة الراهنة ص ١٤٠ .

استخدمتها دول اخرى للتنمية الذاتية وتطوير الاقتصاد الوطني بشكل مستقل .

... وهكذا اندفعت الولايات المتحدة الامريكية في ضوء نتائج حرب تشرين عام ١٩٧٣ كما تشير او تؤكد مصادر غربية كثيرة « للعمل المخطط والسريع لاخضاع بلدان المنطقة جميعا » لكي «لاتفلت الامور من اليد »(١) . وقد استند المخطط الامبريالي الامريكي في جوهره على ابرز ظاهرتين « مترابطتين » حققهما الاستعمار في الوطن العربي وهما : ١ - انشاء وتثبيت المشروع الصهيوني في قلب الوطن العربي ٢ - السيطرة على نفط المنطقة وتسخيره لخدمة مصالح الامبريالية العالمية .

فبعد **حرب تشرين** اعلن في الصحافة العالمية عن اكتشاف خطة امريكية بعشر ادوات لمواجهة اوبك واخضاع منطقة الشرق الاوسط وهي : ١ - تحطيم اوبك ٢ - خلق تكتل راسمالي صناعي في مواجهة اوبك ٣ - عزل دول اوبك عن العالم الثالث غير النفطي ٤ - خلق راي عام دولي مضاد لاوبك ٥ - استنزاف الثروات البترولية بوسائل متعددة ٦ - اعادة تشكيل خارطة الطاقة البترولية ٧ - العمل على انشاء اوبك جديدة تسيطر عليها الولايات المتحدة ٨ - اعادة تشكيل خارطة مصادر الطاقة ٩ - تشجيع علاقات خاصة بين الدول الراسمالية والعديد من دول اوبك ١٠ - تشجيع علاقات خاصة بين الشركات الكبرى والعديد من دول اوبك (٢) .

وكان وراء اول خطوتين بارزتين في هذا المخطط **هنري كسنجر** وزير الخارجية الامريكية الاسبق ؛ فهو الذي هندس عملية تحطيم التضامن العربي بسياسة الخطوة خطوة ، التي تسارعت اجراءاتها

١ - لمن براميل النفط وامن الشرق الاوسط ص ٧ .

٢ - د. حامد ربيع الثروة البترولية العربية والصراعات الدولية الراهنة حول نظام اقتصادي جديد . ص ٢٦ .

بعد تبلور موقف اوروبي يريد التعامل مع المنتجين النفطيين مباشرة في اطار التنازلات السياسية مقابل النفط .. وهذه السياسة ، سياسة الخطوة خطوة ، قادت كما هو معروف الى اتفاقات كامب ديفيد وبالتالي الى التراجعات الخطيرة الحاصلة في حركة التحرر العربي فيما بعد .. وكسنجر هو الذي كان ايضا وراء انشاء وكالة الطاقة الدولية عام ١٩٧٤ لتقوية التعاون بين الدول الصناعية ، واقتسام النفط ، والتشاور ، وايجاد مخزون احتياطي نفطي .. وعلى اساس قرارات هذه الوكالة بدأ التخزين النفطي عام ١٩٧٨ بهدف تخزين مليار برميل يكفي لمدة (٩٠) يوما ، بل ان هذا التخزين وصل في عام ١٩٨٢ الى الاكتفاء بـ (١١٢) يوما في فرنسا و (١٠٠) يوم في بريطانيا و (٩٠) يوما في اليابان و (٩٥) يوما في الولايات المتحدة ذاتها . وهدف هذا التخزين ــ كما اعلن عنه ــ هو رفع وتيرة القدرة على المضاربة وتحجيم اوبك ، ذلك ان عملية التخزين من شأنها ان تزيد الطلب على النفط فيرتفع سعره ثم ينخفض الطلب فتغرق الاسعار في بحر الفائض النفطي .. وهذا ما حصل ، فقد تراجع الطلب على النفط من ٣١ مليون برميل يوميا عام ٧٩ الى ١٢ مليون برميل يوميا في بداية عام ١٩٨٢ ، الامر الذي قاد الى فقدان اهمية سلاح النفط في الصراع العربي الصهيوني ، حيث ضمنت الولايات المتحدة تدفقه « بارخص الاثمان » و « بسهولة » ، كما احتلت مكانا مؤثرا جدا في ادارة دفة هذا الصراع ، الصراع العربي الصهيوني .

وقد بدا من مجريات الاحداث ان الولايات المتحدة مصممة اكثر من اي وقت مضى على تعزيز السيطرة على النفط الخليجي وتوطيد اركان الانظمة السائرة في فلكها ، وكسر مقاومة حركة التحرر العربي ثم حسم الصراع العربي الاسرائيلي في اطار سياسة الاجماع الاستراتيجي ، تلك التي بشر بها الكسندر هيغ وزير الخارجية الامريكية السابق والقائلة بان التناقض الرئيسي هو بين حلفاء الولايات المتحدة الامريكية في المنطقة وبين الاتحاد السوفياتي ، الامر الذي يعني ان التناقض القائم بين ((**العرب المعتدلين**)) و « اسرائيل »

هو نوع من انواع التناقض الثانوي الذي يجب ان يحل في اطار ((**ودي**)) وباشراف الحليف الامريكي .

وفي الاتجاه ذاته وفي اطار ايقاف الشرخ الاوروبي الامريكي واعادة الهيمنة الامريكية على القرار الاوروبي وارغام اوروبا على دعم خططها العالمية افسح المجال للمشاركة الاوروبية في « قضايا خارج النطاق الاطلسي » ، وخاصة في القضايا الخليجية ، فتشكلت ((**مجموعات عمل**)) للتعامل مع القضايا الحارة ، واول هذه المجموعات كانت من الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا والمانيا الاتحادية واليابان لتهتم بأمر الخليج ، وبعد عام ١٩٨٢ راحت تظهر الاعداد المتزايدة من البوارج الاطلسية في المحيط الهندي ، وبدأ يترسخ الانغماس البريطاني والفرنسي والالماني الاتحادي خاصة في القضايا الخليجية .

من المعروف ان ايران الشاه كانت متعهدة ((**لامن الخليج**)) ، او امن النفط في المنظور الامريكي ، اما بعد الشاه فقد بحثت الولايات المتحدة في امرين : اما ايجاد من يحل محل الشاه او ان تتورط هي اكثر مع كل ما يجر ذلك من انعكاسات انكشاف التراجع عن سياسة ما بعد الفيتنام .. ولقد بدا بعد سياسة كامب ديفيد واشراك الحليف الاطلسي ان الولايات المتحدة اختارت الاثنين معا ، استنادا الى محور امني جديد في اطار اتفاقية كامب ديفيد ، وقوات الانتشار السريع ، والتوسع في القواعد العسكرية الامريكية .. وفي ضوء سياسة التراجع عن الانفراج الدولي وسباق التسلح محاولة خرق التوازنات الدولية القائمة لاعادة رسم خريطة السياسة العالمية ، لصالح الهيمنة الامريكية وتثبيت « اسرائيل » وتطويق حركة التحرر العالمية وتثبيت الانظمة الرجعية وتقوية خط الدوران في فلك الاقتصاد الراسمالي العالمي ، واجهاض كل المحاولات الرامية للتوصل الى خلق او فرض نظام اقتصادي عالمي جديد .

وجاءت **الحرب العراقية الايرانية لتخدم هذه المخططات**

الامريكية جميعها .. فقد عجلت هذه الحرب في انهاك منظمة اوبك وزيادة التناقضات بين اعضائها وبالتالي الاتجاه لفرط عقدها ثم سقوط اسعار النفط الى اقل من — ١٠ — دولارات للبرميل الواحد .

كما فتحت هذه الحرب الباب واسعا امام زيادة التدخل الامريكي في الخليج وقدمت ذريعة اضافية للولايات المتحدة الامريكية لتكثيف تواجدها العسكري ، وفرض منطق احلاف جديدة . ثم انها فسحت المجال «لاسرائيل» لممارسة سياستها الاستيطانية والتوسعية ، فارضة وضعا دوليا جعل من قضية الصراع العربي الصهيوني امرا من الدرجة الثانية في المحافل الدولية .. كما ان هذه الحرب دفعت الى تزايد النشاطات اليمينية الرجعية في المنطقة والى المساهمة في فك الحصار عن نظام كامب ديفيد في مصر ، والى تسهيل الاجتياح الاسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ ثم شق منظمة التحرير الفلسطينية وعقد اتفاق عمان .. الخ .. **وزيادة على ذلك فقد بلغت نفقات هذه الحرب ، حسب المصادر اكثر من — ٥٠٠ — مليار دولار . وتبلغ تكلفتها السنوية في حدود — ٨ — مليار دولار** ، وقد قادت الى تخريب اقتصاد البلدين المتحاربين واهدار ارصدتهما وتدمير الهياكل الاساسية والزراعة والصناعة فيهما ، والى رهن اقتصاد العراق خاصة للامبريالية والرجعية . وفوق ذلك فقد ذهب ضحيتها حتى الآن اكثر من مليون انسان بين قتيل ومشوه .

الرفيق الامين العام للحزب حافظ الاسد قال : « فالامر ثابت ولا مجال للشك فيه وهو ان لا علاقة اطلاقا للمصالح العربية ، للاماني العربية ايجابيا بهذه الحرب » . وقال : « كم هو فرح لاسرائيل الآن .. العراق البلد العربي العزيز خرج من دائرة الصراع العربي الاسرائيلي لفترة ليست قصيرة » و قال : « هذه الحرب ليست للمبادىء العربية وليست للاهداف العربية وليست للمصالح العربية ، ولكنها حرب لغير العرب على المبادىء العربية وعلى القيم العربية وعلى الاهداف العربية (١) . وبمناسبة الذكرى التاسعة عشرة لثورة آذار

١ — من خطاب الامين العام في حفل تخريج الطلائع من الشبيبة ٩—١١—١٩٨٠ .

قال الرفيق الامين العام : « ان العرب يفهمون ان هذه المعركة ليست معركة العراق وليست معركة العرب انها معركة امريكا ومعركة الصهيونية » .

وقد عكست فضيحة ايران غيت حقيقة « ازدواجية الموقف الامريكي الذي لا يريد لاي من الطرفين ان ينتصر » حسب تعبير مسؤول سوفياتي(٥) تموز ١٩٨٧ في القبس ، ما دامت هذه الحرب لم تستنفد جميع اغراضها بعد .. بل ان الرئيس ريغان يرى فيها مباشرة ودون مواربة كما نقلت القبس ١٦ تموز ١٩٨٧ عن الغارديان « جزءا من المواجهة بين الغرب والشرق » .

وبعد هذا كله ، بعد هذا الدور النفطي المركزي في السياسة الامريكية ماهي حقيقة حاجة الولايات المتحدة للنفط ؟ ولماذا هذا التخفي القديم الجديد تحت الذريعة النفطية امام الراي العام العالمي ؟

تؤكد المصادر المختلفة ان الولايات المتحدة تمتلك احتياطات كبيرة للنفط والفحم واليورانيوم والجيوب النفطية ، وان نفطها غير المعلن يزيد ٣ — ٤ مرات عن المعلن ، زيادة على الفحم والطين الصخري(١) . ويرى الخبير النفطي فكتور لوان ان لدى الولايات المتحدة من الفحم ما يكفيها لمدة (٥٠٠) عام(٢) .. ويقول كوبلس ، محلل السياسة النفطية في مؤسسة هيرتيج الامريكية والمحرر في بيزنس ويك : « نحن نملك كل النفط الذي نحتاجه هنا تماما في امريكا ولكن الدولة تحول دون حصولنا عليه » ، ويؤكد : ان احتياطات الولايات المتحدة تتراوح بين ٢٢٧ — ٤٤٤ مليار برميل وهي كافية لدعم سوية الانتاج الراهنة لفترة ٤٦ — ٧٤ عاما دون استيراد قطرة واحدة .. ويتساءل كوبلاس : لماذا نتحدث عن مشكلة الطاقة ؟ لماذا يدعم الكونغرس البرنامج

١ — مجلة الثقافة حزيران ١٩٨١ ص ٥٧ .

٢ — مجلة النفط والتنمية تموز ١٩٧٩ ، ص ٧١ .

الاحتياطي ؟ لماذا لا نستغل احتياطنا ونقول لتذهب الاوبك الى الجحيم ؟(1) .

تستهلك الولايات المتحدة ، حسب المصادر المختلفه – 15 – مليون برميل يوميا ، من النفط ، وهي تستورد ثلث هذه الكمية وتستورد من اصلها 473 الف برميل يوميا من الخليج .. وهذا يعني ان الولايات المتحدة يمكنها بسهولة ، اذا ما ارادت، الاستغناء عن نفط الخليج واستبداله من الداخل او المكسيك او بحر الشمال مثلا كما ترى مجلة المستقبل(2) .

وانطلاقا من دحض حجة حاجة امريكا للنفط تثبت المعطيات :

1 – ان الولايات المتحدة تسعى لاستيراد النفط الرخيص الذي تبلغ كلفة استخراجه اقل بـ (12 – 13) مرة عن كلفة استخراج النفط الامريكي ، والذي يباع بالسعر العالمي ، وافساح المجال لنهب الاحتكارات ، خاصة وان الاحتياط المدروس للشرق الاوسط هو في حدود (49,7) مليار طن ، والذي يبلغ ثمنه (11 – 13) تريليون دولار . ومن هنا بالذات تاتي تبعية الولايات المتحدة لنفط الشرق الاوسط وربطه بعامل الامن القومي حسبما عبر عنه الرئيس الامريكي السابق كارتر بقوله : « ان اعتماد الولايات المتحدة على النفط الاجنبي يعتبر خطرا واضحا وواقعيا على سلامة وطننا »(3) ، او اوامر البنتاغون للقوات الامريكية القاضية باعتبار الشرق الاوسط ، من حيث الاهمية ، بعد الولايات المتحدة والناتو .

ولهذا فان الولايات المتحدة تستورد ما تريد وتحافظ على ثرواتها النفطية والفحمية وغيرها كما تريد ، وتاخذ وتبيع على حسابها من النفط ما تريد ..

---

1 – قضايا النفط الدولية الراهنة ص 108 .

2 – مجلة المستقبل 7 تموز 1984 ص 70 .

3 – بوريسوف : الولايات المتحدة وسياستها الشرق اوسطية في السبعينات ص 9 .

والمهم دائما « الحصول على اكبر قدر ممكن من النفط وبارخص الاسعار ولاطول فترة ممكنة »(1) .

واذا كانت الولايات المتحدة بحاجة الى نفط الخليج ، على هذا الاساس ، فهي ايضا بحاجة الى اسواقه ، التي تعتبرها الشركات الامريكية « السوق التجارية الرابعة(2) ، فهي سوق واسعة ضرائبها ملائمة وتسهيلاتها المصرفية كبيرة ونظمها موالية للغرب ، كما ان خطط التنمية فيها تفتح آفاقا واسعة امام الشركات المتعددة الجنسية ، حيث ان هذه البلدان تحتاج كل شيء « بدءا من السيجار الذي ثمنه (5) سنتا وحتى المتطلبات الكاملة للمدينة العصرية »(3) .. وكذلك فان الولايات المتحدة بحاجة الى الدولارات النفطية التي تتعقبها اينما اتجهت ، وقد بلغت الاستثمارات النفطية العربية عام 1986 ، واغلبها في الولايات المتحدة ، (449) مليار دولار .

2 – ان الولايات المتحدة تستخدم حجة حاجتها للنفط من اجل الاشراف على التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي في بلدان الخليج ، والتحكم في اتجاهاته واعاقة تطوره المستقل ، ونشر شبكات التبعية واقتطاع الجزء الاكبر من الدخول النفطية التي تعزز بها قدراتها النقدية وتنشيط سياستها التوسعية والحربية .

3 – ان الولايات المتحدة تستخدم نفط الخليج للتحكم بالقرار الاوروبي الذي ينمو باتجاه الاستقلال ، فيما يتعلق بالامدادات النفطية وسباق التسلح ، والخلافات البنيوية بين المجتمعين الاوروبي والامريكي ، وزيادة الخلل في التوازن الاقتصادي ، وضعف الثقة الاوروبية بالزعامة الامريكية ، وموضوعات الحرب والسلام .. الخ

---

1 – لين برايس : النفط وامن الشرق الاوسط ص 2 .

2 – المستقبل تموز 1984 ص 72 .

3 – لين برايس مصدر سابق ص 4 .

٤ ــ ان الولايات المتحدة الامريكيــة ، رافعة راية الاستعمار النفطي الجديد ، تتخذ من الخليج نقطة استناد في دعم الخطط الحربية والتسليحية ، في اطار استراتيجيتها العالمية الهجومية ..

ولهذا فهي تشدد على « الاهمية الحيوية للخليج » ، وتنذر من يقترب منه حتى بالمواجهة النووية ، مستخدمة حجة الخطر السوفييتي ، ملفقة ارقاما عن حقيقة حاجة الاتحاد السوفياتي لنفط الشرق الاوسط .. رغم نفي المؤتمرات الدولية المتعددة لهذه الحاجة ودحضها لهذه الذريعة .

وهكذا استطاعت الولايات المتحدة تحويل سلاح النفط ، بشكل او باخر ، من اداة بيد التحرر العربي ترمي الى التطور المستقل والقضاء على الاستعمار الجديد ــ كما بدا في السبعينات ــ الى سلاح خطير في زيادة التبعية ، وربط مصير المنطقة العربية بمصير العالم الغربي ، الذي يحتضن هو نفسه المشروع الصهيوني .

واليوم يتزايد خطر التدخل العسكري الامريكي الذي تجاوز التصريحات الساخنة الى التوسع في الحشد الحربي ، الذي يربطه المراقبون بالتحركات العسكرية في جناح حلف الاطلسي الجنوبي (تركيا) والمناورات المصرية الامريكية .. التي قد يكون الهدف المباشر منها التحضير لضربة امريكية مؤثرة ضد ايران ، في اطار تثبيت الوجود العسكري الامريكي في الخليج وخلق « الاستقرار » على الطريقة الامريكية ، الذي يعني دعم اصدقائها وتثبيت اقدامهم وزعزعة القوى والانظمة التقدمية العربية ، وتنشيط العمل الطفيلي وقيم المجتمعات الاستهلاكية ، والسيطرة على السوق الخليجية واجتذاب او اجبار كل العرب وغير العرب الى الانصهار بالسوق الراسمالية العالمية .. ولكي يصب ذلك كله في خدمة الاستراتيجية الكونية للامبريالية الرامية لاعادة السيطرة على العالم .

ان حالة انكفاء المد الجماهيري التحرري العربي القائمة الآن كان من شانها ان تساهم في الاسراع بتنفيذ المخططات الامبريالية الموضوعة لمنطقة الشرق الاوسط دون اية مقاومة تذكر الا من القطر

العربي السوري ، الذي صبت الامبريالية عليه جام غضبها من كل حدب وصوب ، والذي يعرف سلفا انه لا يقدر وحده على مقاومة الامبريالية والصهيونية الرجعية في هذه المنطقة .

لكن القطر العربي السوري استجاب ، انطلاقا من رسالة حزب البعث العربي الاشتراكي ، لمسؤوليته التاريخية ، معتمدا على دروس التاريخ العربي البعيد والقريب ، التي تبشر بقرب اعادة نهوض الحالة الجماهيرية التحررية العربية ، التي ارعبت الامبريالية ابان حرب تشرين والتي ستعمل هذه المرة على اسقاط التحالف الامبريالي الصهيوني الرجعي والسير في طريق التحرر الاقتصادي والاجتماعي اسوة بشعوب العالم المتحررة التي تمضي في مسيرة البناء والاستقرار واعلاء شان الانسان .

على انه لابد من التاكيد على امر اصبح بديهيا وهو انه لايمكن لحركة التحرر العربي ، لا الآن ولا في المستقبل المنظور ، ان تواجه مخططات الامبريالية والصهيونية هذه دون الاستناد الى دعم الاتحاد السوفياتي الصديق ووزنه ودوره في حركة التحرر العالمي .. وكل محاولة دوغمائية في هذا الصدد لاتبغي سوى اطالة عمر المشروع الامبريالي الصهيوني وتضييع معالم الطريق الاستراتيجي ، الذي على اطراف حركة التحرر العربي ان تسلكه وهي تناضل لتصنع الغد العربي الافضل .

توازن الأمن مقابل توازن الرعب

الرفيق : د. مهدي دخل الله

اولا ـ مقدمة :

هل بدأت « حملة السلام » السوفييتية تعطي ثمارها ؟ .

تشهد الساحة الدولية ربيعا ساخنا هذا العام ، فالاتصالات والنشاطات والتحركات تتسم بطابع اكثر جدية واشد تنسيقا واعمق جوهرا في طرح الامور وبالتالي في تدارس امكان ايجاد حل لها . ويجب ان لا يقع احد فريسة التفاؤل ، فالقوى الامبريالية في عالمنا مازالت عند مواقفها المعادية لتطلعات البشرية والمناهضة لحق الشعوب والمستهترة بامن العالم وسلامته ، بل ان هذه النزعة اشتدت في الاونة الاخيرة ، وبشكل خاص منذ تسلم ادارة ريغان في الولايات المتحدة ، وادارة تاتشر في بريطانيا زمام القيادة في العالم الراسمالي(١) . لكن هناك مؤشرات عديدة ، بالمقابل ، تسوغ راي القائلين بأن الجهود المضنية التي تبذلها القوى الاشتراكية والتحررية

والمحبة للسلام في العالم (قد) تنجح في « توريط » الولايات المتحدة والقوى الامبريالية الاخرى بعملية تخفيف حدة التوتر واجبارها على الرضوخ الجزئي والمحدود لنزع السلاح او لتقييد تطوره على الاقل ، حتى ولو اعتبرت القوى الامبريالية رضوخها هذا مجرد مناورة لكسب الوقت او لاخفاء وجهها الحقيقي عن الراي العام العالمي .

ونحن هنا لانريد ان نبالغ في تقويم نتائج الاجتماعات التي تمت في الجانب الراسمالي في ربيع هذا العام (قمة البندقية ، اجتماع الناتو في ريكيافيك ، قمة المجموعة الاوروبية) ، ولكننا نود أن نشير الى تلك القوة المعنوية ، والمادية ، الهائلة التي تستخدمها القوى الاشتراكية في « حملة السلام » الجديدة ، وأن نؤكد ان كل تقدم في مجال تخفيف حدة التوتر وفي مجال تثبيت الامن ونزع السلاح لايمكن ان يكون نتاجا لاي « تعقل » او « واقعية » او « تعبير عن حسن النية » من قبل القوى الراسمالية ، وانما هو ، في كليته ، حصاد لتلك الجهود الصادقة والمضنية التي تبذلها الدول الاشتراكية مدعومة بقوى التحرر والديمقراطية والسلام في اطار ردع محاولات توتير العلاقات الدولية ، ومواجهة سياسة القوة ، وانقاذ البشرية من حافة الفناء .

هذا الايضاح ضروري لما قد يصدر في هذه الدراسة من مقولات عن اية قرارات « ذوات منحى ايجابي » صدرت عن قمة البندقية « للعظماء الراسماليين السبعة » او عن اجتماع ريكيافيك لوزراء خارجية الناتو . فالايجابية المحدودة في توجهات الدول

(١) ـ لابد من الاعتراف ان الايديولوجية البرجوازية المعاصرة ذات بنية تعددية ، وان هناك نوع من التناقض ، غير التناحري ، بين تياراتها المختلفة . ويمثل ريغان ، وكذلك تاتشر ، تيار الطغمة النقدية والمالية التي تختلف عن البرجوازية الصناعية بنوعية الادوات التي تستعملها في تسيير الاقتصاد الوطني والعالمي وبالاسلوب الذي تستعمل فيه هذه الادوات اي السياسة الاقتصادية .. ولا يقلل من هذا الراي ابحاث الاقتصاديين جلدين ، كتشارلس ليفنسون ، والذين يحاولون اثبات مقولة مفادها ان الطغمة المالية في المرحلة الراهنة لتطور الراسمالية «ابتلعت» البرجوازية الصناعية عن طريق سيطرة الراسمال المالي على الراسمال الصناعي واتحاده معه .. ونحن هنا لا نرفض مقولة تشارلس ليفنسون ولكننا نؤكد ان التماثل بين الراسمال المالي والراسمال الصناعي لاينفي تميز المصلحة المالية عن المصلحة الصناعية ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، ان استعمال الفائدة كاداة اساسية من ادوات السياسة الاقتصادية يختلف عن استعمال السياسة الضريبية او الجمركية .

الراسمالية هنا لاتعني ، في حال من الاحوال ، اي تغير نوعي في بنية اهداف هذه الدول ومصالحها ، بل تؤكد ، كما سبق القول ، قوة الدفع التي تتسلح بها القوى الاشتراكية في سياق العلاقات الدولية ، وهي كذلك تشير الى مرأيا الفهم الاشتراكي لهذه العلاقات والى التماثل بين المصلحة الاشتراكية ومصلحة البشرية جمعاء .

في هذا الاطار يمكن دراسة التحركات والاجتماعات والاتصالات التي تمت في الاونة الاخيرة سواء بين دول معاهدة وارسو ، او في الجانب الراسمالي . ويبدو واضحا ان هذه الاجتماعات وتلك الاتصالات ليست مجرد مشاورات دورية روتينية كما هي العادة . بل ان ذلك الجو الضاغط بالنسبة للدول الراسمالية ، والناتج عن جملة من المبادرات السوفييتية الشجاعة ،ادى الى حشر القوى الامبريالية في الزاوية والى فرض حضور قوي للقضايا الاساسية في جدول اعمال الاجتماعات التي تمت في الجانب الراسمالي . وهذه الدراسة لن تكون مجرد سرد صحفي لنتائج هذا الاجتماع او ذاك ، وانما هي محاولة ، موجزة ، لاستنباط المبادىء والاسس التي تبني عليها كل من مجموعة وارسو ، والمجموعة الراسمالية توجهاتها السياسية ، والتي ، على ما نعتقد ، سوف تبقى اسسا ومبادئا لفترة طويلة نسبيا في المستقبل .

ولعل اهم اللقاءات التي تمت في الاونة الاخيرة كانت في الجانب الاشتراكي قمة برلين لدول معاهدة وارسو (٢٨ — ٢٩ ايار) ، وفي الجانب الراسمالي قمة البندقية للدول الراسمالية الصناعية السبع (٨ — ١٠ حزيران) ، واجتماع وزراء خارجية الناتو في ريكيافيك ، ومن ثم قمة السوق الاوروبية المشتركة .

وعدا من هذه الاجتماعات هناك حزمة من النشاطات والتحركات الاخرى ، وبشكل خاص في الجانب الاشتراكي . نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ، جواب ميخائيل غورباتشيف على البيان المشترك لقادة البلدان الستة (١٠ حزيران) ثم تصريح غورباتشيف الشهير حول استعداد الاتحاد السوفيتي لازاحة الصواريخ متوسطة المدى الموجودة على الاراضي السوفييتية في القسم الاسيوي (٢٢ تموز) .

وربما كان من اهم هذه الاجتماعات والتحركات على الاطلاق قمة برلين وقمة البندقية (١) . وبالطبع ، المؤسستان المعنيتان ، معاهدة وارسو واجتماع السبعة ، ليستا متقابلتين شكلا ، كما انه لايمكن التحدث عن لقاء السبعة كمؤسسة دولية

(١) — على الرغم من ان اهمية قرارات وزراء خارجية الناتو في ريكيافيك تفوق تاريخيا اهمية قرارات قمة البندقية . لكن المدينة الايطالية الجميلة احتضنت زعماء العالم الراسمالي ، بينما تنعت عاصمة ايسلندا بوزراء الخارجية ..

رسمية ، لانه ليس لهذا التجمع هيئات دائمة مرافقة ، وهو في كثير من الاحيان اجتماع تشاوري وليس مؤسساتي وان كانت الية التاثير والتداخل والتفاعل متوافرة وتؤدي دورها بنجاح .

لكن عدم التشابه في الشكل المؤسساتي هنا لايمنع اجراء المقارنة ، بل هناك معطيات كثيرة تؤكد اهمية مثل هذه المقارنة سيما وان القمتين المذكورتين تعتبران المعنيتان ، جوهريا ومضمونا ، بالتعبير عن وجهة النظر العليا في الجانب الاشتراكي والجانب الراسمالي ، وخاصة اذا اخذت بعين الاعتبار نتائج اجتماع ريكيافيك لوزراء خارجية حلف الناتو .

ثانيا — مفهومان متناقضان « للتوازن الدولي »

ماهي الامور الحساسة المطروحة على ساحة العلاقات الدولية في الوقت الراهن والتي تمثل مضمون نشاط القمتين والاجتماعات الاخرى ومادة جهد المؤتمرين ومعالجتهم ؟! .. باختصار ان قضية التوازن الدولي تطرح نفسها اكثر من اي وقت مضى قضية شمولية عامة ، قضية القضايا ، حيث تندرج في اطارها كل مسائل العلاقات الدولية في جميع المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية وغيرها ..

والتوازن الدولي ، الاقتصادي والسياسي والعسكري وغيره، لايعني التخلي عن البعد التطوري ، الدينامي والتقدمي ، للعلاقات الدولية ، بل يؤكد ، على العكس من ذلك ، ضرورة توافر شروط افضل لهذا التطور والتقدم . وفعلا ، هناك اختلافات كثيرة على المستوى النظري حول تحديد مفهوم التوازن . فهذا المفهوم كما هو معروف استخدم في البدء علم الفيزياء والميكانيك (١) . لكن العلوم الاجتماعية التي استعارت مفهوم التوازن من العلمين المذكورين نفت عنه السمة السكونية (الستاتية) وصبغته بالطابع الحركي (الدينامي) . لذلك فان التوازن في نظرنا يعني « التطور بالاتجاه المطلوب » ، وهذا التطور مشروط ، بالضرورة ، بتوفر النوعية المناسبة للعلاقات المكونة التي تؤمن للوظائفية القيام بدورها كاملا . وهكذا فان نظام العلاقات الدولية بشموليته يكون في حالة توازن ، لا عندما يتساوى تاثير القوى العاملة فيه اي عندما يكون تفاضل هذه القوى يساوي صفر ، وانما عندما تتوافر الشروط اللازمة لكي تتمكن القوى التي تدفع بالتركيب الجدلي كله نحو الامام من اداء وظائفيتها على

(١) — يكون الجسم في حالة توازن اذا كانت محصلة القوى التي تؤثر فيه تساوي صفر .

اكمل وجه ، اي عندما تتوافر تلك الشروط التي تمنع القوى ذوات المصلحة في الحفاظ على الوضع الراهن من اداء وظائفها . وهذا يعني ان التوازن لايظهر كحالة وانما يبدو كمنحى ، كتوجه مستقبلي . واذا كان التطور من اهم سمات النظم الاجتماعية ، ومن بينها النظام الشمولي العلاقات الدولية ، فان كل نزعة نحو الحفاظ على الوضع الراهن ليست ، من وجهة نظر تطورية ، نزعة محافظة بل هي ، في الجوهر ، نزعة رجعية لانها في محاولاتها للمحافظة على الوضع الراهن ، الوضع الذي تنتهي مسوغاته بانتهاء شروطه ، انما تدفع بالنظام بكامله الى الوراء . وهذا الوقوف في وجه الاندفاع التطوري للبنية انما هو عمل مضاد للتوازن بالضرورة لانه يؤدي الى كبح جماح العملية الطبيعية التي تفرض التغير المناسب في نمط العلاقات بين العناصر المكونة ، وبالتالي فهو يؤدي الى التقهقر من وجهة النظر التاريخية ، كما يؤدي ، وهذا هو الاهم ، الى ظهور خلل بنيوي ، اي عدم توازن جوهري ، في مجمل العلاقات المتفاعلة تبادليا في النظم المعنية . ان التاكيد على هذا الفهم للتوازن الدولي ضروري لاثبات عدة امور :

١ ــ ان التوازن لا يعني حالة سكونية لا تأثير للقوى فيها ، وانما هو منحى ، توجه ، نحو حالة مستقبلية اكثر تطورا .

٢ ــ ان هذه السمة الدينامية تؤكد تقدمية النضال من اجل التوازن .

٣ ــ ان التوازن ، كتوجه مطلوب ، يؤمن الشروط التي تمكن من تطور النظام المعني نحو الامام ، لذلك فهو يتفق ومصالح القوى التقدمية في العالم (١) .

٤ ــ وعليه فان القوى الرجعية تحاول في ، مرحلة ما ، كبح جماح القوى المناضلة من اجل التوازن وتدافع عن وضع عدم التوازن الذي غالبا مايؤمن لها شروط تحقيق مصلحتها .

وسنحاول في هذه العجالة ، ايضاح ماعرضناه حول مفهوم التوازن الدولي عبر استقراء ، سريع وناقص ، للقضايا التي تعج بها ساحة العلاقات الدولية المعاصرة والتي تمثل بؤرا للخلل وعدم التوازن .

ومن الواضح ان ايجاد الحلول العادلة ، ولو نسبيا على الاقل ، لهذه القضايا انما هو جوهر النضال من اجل اعادة التوازن الى عالمنا .

---

(١) ــ لذلك فان الثورات لاتمثل هدما للتوازن في المجتمع ، بل تمثل هدما لعدم التوازن في المجتمع ونضالا ضد الخلل الذي تفرضه الطبقات المسيطرة التي تسعى الى تامين مصلحتها عبر تشويه التطور الطبيعي للعلاقات الاجتماعية في جو من عدم التوازن .

ومن المفيد هنا التذكير بهيكلية العلاقات الدولية كما اقرتها وثيقة هلسنكي للامن والتعاون الاوروبي حيث قسمت الوثيقة هذه العلاقات وبوبتها في ثلاث مجموعات هي: مجموعة العلاقات السياسية ــ العسكرية ، ومجموعة العلاقات الاقتصادية ، ومن ثم مجموعها العلاقات في المجالات الانسانية (التعاون الثقافي والاعلامي والسياحي الخ ...) .

ولاسباب منهجية بحته ، سنركز جهودنا في هذه الدراسة الوجيزة على بحث قضايا التوازن الدولي المتعلقة بالمجال السياسي والعسكري (المجموعة الاولى) ، تاركين قضايا المجال الاقتصادي ، على اهميتها ، الى دراسة اخرى .

وفي مجال العلاقات السياسية والعسكرية الدولية تهمنا مجموعتان من القضايا :

١ ــ قضايا نزع السلاح وتثبيت الامن والسلام الدوليين .

٢ ــ قضايا ماتسمى بالنزاعات الاقليمية .

ومن الواضح انه رغم تداخل هذه القضايا جميعها وارتباطاتها المشتركة وتاثيراتها المتبادلة ، الا ان لكل قضية خصوصياتها ومميزاتها ، الامر الذي يؤكد ضرورة التعامل المتميز والمحدد مع كل قضية على حدة ، رغم الاعتراف بشمولية المبادىء العامة لحل هذه القضايا . وطبيعي ان تكون هذه الشمولية نتاجا مباشرا للارتباطات المتداخلة كون قضايا عالمنا المعاصر قد ظهرت نتاجا لاستراتيجية استعمارية ، ومن ثم امبريالية ، واحدة ، وان حل هذه القضايا ، بالتالي ، لابد وان يعتمد على استراتيجية عالمية واحدة ، مع الالتزام الكلي بتعددية البنية الشمولية ، اي بالتمايز الخاص داخل التوافق العام .

هذا الاطار ينطبق على قضية تخفيف حدة التوتر كما ينطبق على القضية الفلسطينية ، وينطبق على تقليص الاسلحة النووية تمهيدا للتخلص منها كلية كما ينطبق على التدخل في شؤون نيكاراغوا ، او على جنوب افريقيا .

ثالثا ــ « الامن المتبادل » مقابل « الردع النووي » :

يبدو واضحا ان اية مجموعة من القضايا السياسية او الاقتصادية ليست بمجرد وجودها ، سوى مؤشر على وجود خلل وعدم توازن في بنية العلاقات الدولية. فازمة المديونية هي نتاج عدم التوازن في النظام الاقتصادي الدولي الحالي ، وهذا الخلل يصب في مصلحة القوى الامبريالية .. وقضية النزاع العربي ــ الصهيوني مؤشر آخر على التوازن المفقود في العلاقات السياسية الدولية والخلل الكبير الناتج

من عدم احترام اهم اسس التوازن في النظام الدولي ، اقصد مبدأ حق تقرير المصير للشعوب ، ومبدأ تحريم العدوان والاحتلال .

حتى تلك القضايا المطروحة على العلاقات داخل الكتلة الراسمالية مثل قضايا التجارة وسعر الصرف والسياسات الزراعية وغيرها ، فهي دليل واضح على ان التركيب الراسمالي لايفرض عدم التوازن على علاقاته مع القوى الاخرى فحسب ، بل على العلاقات بين القوى الراسمالية نفسها .. وهذه واحدة من اهم سمات البنية الراسمالية – التحريض المستمر لعدم التوازن وفي جميع الاتجاهات والمجالات . وقمة البندقية وغيرها من الاتصالات داخل الكتلة الراسمالية ، تمثل تركيزا للمحاولات الرامية الى ضبط عدم التوازن الشمولي ، (الخارجي والداخلي) هذا .. والضبط هنا لايعني اخلال التوازن **وانما يعني محاولات الاستفادة القصوى من عدم التوازن لصالح العناصر الاقوى داخل التركيب الراسمالي (الولايات المتحدة) ولصالح الكتلة الراسمالية ككل في علاقاتها مع الخارج .**

ان الفرق واضح بين مساعي الدول الاشتراكية وقوى حركة التحرر العالمية من اجل اخلال التوازن العالمي ، التوازن الذي يؤمن ظروف التطور الطبيعي البشرية ويمكن بؤر التحرك الداخلية من تادية وظائفها في الدفع نحو الامام ، وبين محاولات القوى الراسمالية التي تتركز على المحافظة على الخلل ومنع حدوث التوازن . فما ان اغلقت قمة البندقية ابوابها حتى توجه الرئيس الامريكي ريغان ليلقي خطابا امام جدار برلين اقل مايمكن ان يقال فيه انه تذكير لمن نسي بالحرب الباردة وتاكيد لمن تغافل ان الامبريالية ما زالت عند منطقها ومصالحها وعدوانيتها .

مثال اخر ، في الثاني والعشرين من تموز الجاري اعلن غورباتشيف عن مبادرة جديدة حول استعداد الاتحاد السوفيتي لسحب جميع صواريخه المتوسطة المدى من القسم الاسيوي للاراضي السوفيتية ، الامر الذي يعتبر خطوة ايجابية جديدة في سلسلة من المبادرات الصادقة ، في هذا الوقت بالذات ، وفي الرابع والعشرين من تموز (اي بعد الاعلان السوفيتي بيومين فقط) نصبت الولايات المتحدة محطة رادار جديدة من طراز بيف بوس للانذار حول الهجوم الصاروخي في غرينلندا خارقة بذلك اتفاقية تقييد منظومات الدفاع المضاد للصواريخ البالستية (١) والموقعة عام ١٩٧٢ ،

---

(١) – الصواريخ البالستيه هي الصواريخ الجنحة ذوات التوجه الذاتي .

وهذا الخرق ليس خرقا لروح الاتفاقية فقط وانما خرق لنصها الواضح ايضا(٢) .

ومن المؤشرات العديدة التي توضح حقيقة الامر ، ان الدول الاشتراكية ، ايمانا بمسؤوليتها العظيمة في حفظ السلام ودفع التقدم البشري ، لا تلجا الى ردود الفعل ، بل ، وهذا مايجب تاكيده ، تتخذ من التصرفات اللامسؤولة للولايات المتحدة وحلفائها محرضا نحو التمسك بتوجهاتها وخطها المبدئي ، منطلقة من فلسفة « الواقعية الجديدة » التي تعني ضرورة « توريط » الغرب بسياسة نزع السلاح عبر « حملة سلمية » كبيرة .

ومن الواضح أن هذه « الواقعية الجديدة » تختلف جوهريا عن « الواقعية » التي كانت سائدة فيما مضى ، فبينما كانت تلك الواقعية تنطلق من ضرورة مجابهة القوى الامبريالية بالاسلوب نفسه ، تعتمد الواقعية الجديدة على مبدا مجابهة القوى الامبريالية عبر اسلوب اشتراكي اصيل يؤدي الى « توريط » هذه القوى بالسياسات السلمية والى « تحريض » عملية تثبيت الامن والسلام العالميين على طريق «المبادرة» بعرض الحلول والبدء بتطبيقها حتى ولو جاء التطبيق من طرف واحد (١) .

عدم التوازن الذي تحدثنا عنه ، والذي هو نتاج لفعالية القوى الراسمالية والتيارات التابعة كالصهيونية والعنصرية ، وصل الى حد خطير جدا . فلم يعد الامر يتعلق بمناورة بل اضحت المسالة تتعلق بمصير البشرية ووجودها على هذه الارض .

دليل جديد الى اي حد يمكن ان تذهب القوى الامبريالية في تصعيد التوتر (اقرا عدم التوازن) العالمي . فمن هو المسؤول عن تلك السلسلة الطويلة من بؤر عدم التوازن الذي يعج بها الوسط الدولي اليوم ؟ .. ولمن تؤمن هذه البؤر شروطا افضل لتحقيق المصالح التي تتناقض جوهريا مع التطور الطبيعي للحضارة الانسانية؟ ماهو مصير العالم امام تفاقم الهوة بين الدول المتخلفة ، المدينة والمستغلة ، وتلك الدول التي تسعى جاهدة للابقاء على الوظائفية الاستعمارية ضمن الظروف الجديدة؟

---

(٢) – في « التعامل » الدولي وفي « السلوكية » الدولية هناك فرق بين « روح » الوثائق وبين « نصها » لان النص ملزم قانونيا ، اما « الروح » ، والتي تعني جو الثقة العام الذي يفرضه الاتفاق ، فانها ملزمة معنويا وتحريضيا وليس قانونيا . وهذا كله يعني ان الاخلال بما تتطلبه « روح » الاتفاق ، لايعني نقضا صريحا لبنود الاتفاق ، اما الاخلال بالنص فيعني انتهاكا لشرعية بنود الاتفاق نفسها .

(١) – هل لنا ان نتذكر المارانوريوم (يعني المنع او التوقف) وهل لنا ان نتصور اية شجاعة لزمت لاتخاذ مثل هذا القرار من قبل دولة كبرى كالاتحاد السوفيتي ؟

كيف يمكن لاحد ان يقبل فلسفة « توازن الرعب » عند هذا الحد من تكديس الاسلحة وعند هذه المحاولات لنقل السلاح النووي الى الفضاء بعد ان امتلأت رحاب الارض به ؟ .. لقد وصلت القوى الامبريالية الى حد لم تعد قادرة فيه اخفاء مراميها الحقيقية على احد . فباي منطق تؤكد تاتشر في زيارتها لموسكو قبل اشهر ، وبغطرسة غريبة ، ان تطوير السلاح النووي هو الكفالة الوحيدة للسلام ؟ ..

لقد رد اجتماع اللجنة السياسية الاستشارية (١) للدول الاعضاء في معاهدة وارسو قمة برلين على مثل هذا المنطق بالتاكيد على ان « تطور الاحداث العالمية والتغيرات في العلاقات الدولية والترابط المتزايد بين الدول والتقدم العلمي — التكنيكي وصنع سلاح ذي قوة تدميرية لانظير لها ، كل هذه الامور تتطلب تفكيرا جديدا وموقفا جديدا من قضايا الحرب والسلام ونزع السلاح والمشكلات الشاملة والاقليمية المعقدة الاخرى والتخلي عن مبدأ « الردع النووي » القائل بان السلاح النووي يشكل ضمانة لامن الدول (٢) .

ولقد صدر عن قمة برلين ثلاث وثائق هي :

١ — البيان المشترك .

٢ — حول المذهب العسكري للدول اعضاء معاهدة وارسو .

٣ — من اجل اقامة نظام اقتصادي دولي جديد .

وان دراسة متانية لهذه الوثائق لابد وان تؤدي بالدارس الى التعرف على اهم منطلقات القوى الاشتراكية واهداف سياستها الدولية ، سيما وان هذه السياسة تلقى الدعم من جميع حركات التحرر الوطني والقوى التقدمية والمحبة للسلام الاخرى في العالم ، بل انها تلقى التعاطف والتاييد من اوسع شرائح الراي العام في المجتمعات الراسمالية نفسها .

---

(١) — اللجنة السياسية الاستشارية هي الهيئة العليا في معاهدة وارسو ، ومهمتها مناقشة المسائل الجوهرية التي تهم الدول الاعضاء ، واتخاذ القرارات بشانها .

(٢) — من البيان المشترك الصادر عن قمة برلين في كتاب « وثائق اجتماع اللجنة السياسية الاستشارية لدول معاهدة وارسو ، برلين ٢٨ — ٢٩ أيار ١٩٨٧ » ص٧ . نشر وكالة نوفوستي السوفيتية .

ومن المعروف ان مذهب « الردع النووي » لا يزال المذهب المسيطر على التفكير السياسي — العسكري عند الجانب الاطلسي . وهذا المذهب مبني على مبادىء تتطلب الزيادة المستمرة والتطور الدائم لكمية ونوعية الاسلحة ، على اعتبار انه كلما تطور السلاح تعاظمت خاصته الرادعة ، وقلت امكانية القيام باية مغامرة عدوانية من جانب القوى الاشتراكية ، اي كلما تحسنت فرص السلام في العالم . (١)

و « الردع النووي » مذهب يحرض سباق التسلح المزمن ، وخاصة اذا كان انتاج المزيد من الاسلحة يتفق مع مصالح الراسمال الموظف في الصناعات الحربية . وبالضرورة ، كلما تطور انتاج السلاح ازداد تاثير الطغمة الراسمالية المسيطرة على مصانع الاسلحة في الاقتصاد والسياسة .

وهكذا فان تطوير صناعة السلاح كما ونوعا لا يؤدي الى زيادة فرص التاثير الامبريالي في العالم فقط ، بل يؤدي كذلك الى زيادة التشوه والخلل (عدم التوازن) داخل المجتمعات الراسمالية نفسها ، اي زيادة نفوذ منتجي الاسلحة في المجتمع عبر سيطرتهم على قسم متزايد من التراكم الراسمالي والتوظيف الراسمالي في البلاد ، وهذا يعني ان هناك سمة تفاقمية وتراكمية لانتاج السلاح ، فكلما تطور الانتاج قلت امكانات تثبيت الامن ونزع السلاح .

لقد قدمت قمة برلين البديل لمذهب « الردع النووي » الذي لم يعد عقلانيا البتة وردت القمة على منطق الردع النووي بالتاكيد على ان « تطور الاحداث العالمية والتغيرات في العلاقات الدولية والترابط المتزايد بين الدول والتقدم العلمي ، التكنيكي وصنع سلاح ذي قوة تدميرية لا نظير لها ، كل هذه الامور تتطلب تفكيرا جديدا وموقفا جديدا من قضايا الحرب والسلام ونزع السلاح ، والمشكلات الشاملة والاقليمية المعقدة الاخرى والتخلي عن مبدا « الردع النووي » القائل بان السلاح النووي يشكل ضمانة لامن الدول »(١) .

التطورات الاخيرة في العلاقات الدولية ، اذا تفرض البديل ، والبديل هو

---

١ — اعلنت تاتشر اثناء زيارتها الاخيرة لموسكو ان اوروبا تعيش في سلام منذ اربعين عاما ، ويعود الفضل في ذلك ، على حد زعمها ، الى وجود السلاح النووي ..

١ — من البيان المشترك الصادر عن قمة برلين في كتاب « وثائق اجتماع اللجنة السياسية الاستشارية لدول معاهدة وارسو ، برلين ٢٨ — ٢٩ أيار ١٩٨٧ » صفحة — ٧٠ — نشر وكالة نوفوستي .

« الامن المتبادل » . وفي هذا الصدد يجدر عرض المذهب العسكري لدول معاهدة وارسو :

١ ـ المنطلق : تنفيذ مهمة درء الحرب سواء كانت نووية ام تقليدية .

٢ ـ المضمون : التعهد بان الدول الاطراف في معاهدة وارسو لن تبدأ ابدا ومهما كانت الظروف باعمال عسكرية ضد اية دولة او مجموع دول ، وهي لن تبادر ابدا باستخدام السلاح النووي ، وليس لديها اية مطامع اقليمية حيال اية دولة في اوروبا او في خارجهـا .

ولا تطمح الدول الاشتراكية في امن تزيد عما لدى البلدان الاخرى ولكنها ايضا لا توافق على ما يقل عنه . (٢)

٣ ـ الاطار : الشرعية الدولية اي احترام المبادىء الواردة في ميثاق الامم المتحدة وفي وثيقة هلسنكي وقواعد العلاقات الدولية (العرف الدولي) ..

٤ ـ الاهداف : هناك ستة اهداف اهمها التحريم التام والعاجل والشامل للتجارب النووية والحيلولة دون نشر سباق التسلح في الفضاء وتقليص الاسلحة النووية ، وتحريم وتصفية السلاح الكيمياني واسلحة الابادة الجماعية الاخرى ، وتقليص القوات المسلحة والاسلحة التقليدية في اوروبا ، والرقابة الصارمة على تدابير نزع السلاح ، واستحداث مناطق خالية من السلاح النووي والكيمياني . اما الهدف الاخير فهو هام للغاية اذ تقترح الدول الاشتراكية نظاما حقيقيا للامن الدولي عبر الخطوات التالية :

١ ـ الخطوة الاولى : تصفية المنظمتين العسكريتين لحلف شمال الاطلسي ومعاهدة وارسو ....

٢ ـ الخطوة الثانية : الالغاء المتزامن للحلفين ...

٣ ـ الخطوة النهائية : استحداث منظومة شاملة للامن الدولي ...

هذا هو الاطار الشمولي للتوجهات السياسية ـ العسكرية عند الدول الاشتراكية وهي في وضوحها ليست بحاجة الى اي تعليق . ولعل من اهم ما يميز هذه التوجهات امران :

١ ـ الاستعداد للالغاء المتزامن للحلفين ... وهذا يعني ان الدول الاشتراكية لا تفهم امنها ضمن الاطر الضيقة للعلاقات المتبادلة مع الدول الاطلسية ، وانما تعتبر هذا الامن جزءا لا يتجزأ من امن الشعوب كلها ... لانه في الغاء الحلفين تخرج عملية الامن ، بمؤسساتها على الاقل ، من اطار العلاقات بين الكتلتين لتدخل الرحاب

---

٢ ـ وهذا هو تحوى مذهب (الامن المتبادل) والاختلاف واضح بينه وبين مذهب الردع النووي ، الدول الاشتراكية تقدم (توازن الامن) مقابل (توازن الرعب) .

الدولي الجماعي الواسع ... كما ان نزع السلاح تمهيدا لتدميره كلية يقضي على « ميزات » الدول الكبرى ، ويجعلها ، نوعيا ان لم يكن كميا ، متساوية مع الدول الصغرى في عالمنـا ...

٢ ـ وهذا البعد الديمقراطي والانساني يظهر ايضا في التاكيد على اطار احترام المبادىء الواردة في وثيقة الامم المتحدة ، والتي لا تقتصر على العلاقات بين الكتلتين وانما تعني الاسرة الدولية بكامل اعضائها ...

البيان المشترك الذي صدر عن قمة برلين يتضمن عرضا للوسائل التي تؤدي الى تحقيق اهداف المذهب العسكري ، مذهب الامن المتبادل ، ومراميه . ولا يسمح المجال هنا لعرض هذه الوسائل ، خاصة انها اضحت معروفة عند كل مهتم ، لكن من المفيد ، ولو بايجاز التحدث عن اهمها :

ـ عقد اتفاقية فورية حول ازالة جميع الصواريخ المتوسطة المدى في اوروبا على اساس الاتفاق المبدئي في ريكيافيك .

ـ ازالة الصواريخ العملياتية ـ التكتيكية من اوروبا ...

ـ الاتفاق على اجراء تقليص جذري للاسلحة الاستراتيجية الهجومية . وفي الوقت نفسه تعزيز نظام معاهدة الدفاع المضاد للصواريخ .. والعمل على تحريم التجارب النووية . (١)

وانطلاقا من المبادرات الاخيرة لغورباتشيف فان قمة برلين لم تربط بين هذه المقترحات والغاء مشروع حرب النجوم ، بل اقتصرت على اظهار حزمها في الدعوة الى عدم نقل السلاح الى الفضاء ، والى تحريم سباق التسلح في الفضاء ، والى الالتزام الصارم بمعاهدة الدفاع المضاد للصواريخ .

والتخلي السوفييتي عن الموقف الذي كان يتبناه في قمتي جنيف عام ١٩٨٥ وريكيافيك عام ١٩٨٦ ، اي موقف « الحزمة الواحدة » وربط حرب النجوم باي اتفاق آخر لنزع السلاح على الارض ، هذا التخلي لا يعني التنازل عن المقولات المبدئية والاستراتيجية في ان الامن لا يمكن تجزئته ، وانما هو تكتيك جديد يرمي الى تحقيق الاهداف الاستراتيجية نفسها . ومن جهة ثانية ، ان الاشارة الواردة في البيان المشترك لقمة برلين والتي تربط بين عدم نشر السلاح في الفضاء وبين الالتزام الصارم بمعاهدة الدفاع المضاد للصواريخ والتي تسمى (ABM) فهي تاكيد جديد على تمسك الاتحاد السوفييتي

---

١ ـ البيان المشترك .. ص ٨ .

والدول الاشتراكية الاخرى بضرورة الغاء مشروع حرب النجوم وعلى اساس الالتزام بنصوص معاهدة (ABM) والتي وقعتها الدولتان العظميان عام ١٩٨٢ في موسكو . (٢)

ــ وعلاوة عن هذه القضايا ، اكدت دول معاهدة وارسو استعدادها لتوقيع اتفاقية دولية ، في هذا العام بالذات ، حول تحريم السلاح الكيمياوي (كسلاح ابادة جماعية) واتلاف الاحتياطات الحالية منه بل وتفكيك القاعدة الصناعية الانتاجية كلية .

ــ كما عبرت كتلة وارسو عن استعدادها لتقليص قواتها التقليدية في اوروبا بنسبة ٢٥٪ في اوائل التسعينات مع امكانية البدء بعملية التقليص هذه في الوقت نفسه ، مع تقليص الوسائل النووية التكتيكية ..

وبهذا تكون جميع المسائل المتعلقة بنزع السلاح قد اكملت ، مع المقترحات اللازمة باتجاه نزعها او تقليصها . ومن المهم جدا ذكر مبدا اكدته وثيقة برلين هذه ، يتضمن استعداد الدول الاشتراكية ((للقضاء على عدم التكافؤ في بعض العناصر على طريق التقليصات المناسبة لدى من غدا في المقدمة)).. وهذا المبدا ، مبدا « التقليص غير المتساوي » مهم جدا ويتطلب طرحه شجاعة سياسية كبيرة وحسن نية واستعدادا صادقا للتفاهم ، لانه من المعروف ان بعض انواع الاسلحة موجودة باعداد اكبر عند طرف من الطرف الاخر ، مما يعني ان « التقليص المتساوي » لا يؤدي الى التوازن الحقيقي ، وانما قد يحرض دورة جديدة لسباق التسلح .

وهناك مبدا الرقابة الميدانية لتطبيق الاتفاقيات ومبادىء اخرى عديدة . لكن المبدا الشمولي الذي يمثل الاطار العام لتحرك الدول الاشتراكية باتجاه نزع السلاح هو ان توازن القوات بين الكتلتين يجب ان يكون عند مستويات ادنى باستمرار اي يجب ان يتحول سباق التسلح الذي يحرض تراكم الاسلحة عند مستويات اعلى باضطراد ، الى سباق خلق ومبرمج لنزع السلاح ، اي للتوازن عند مستويات ادنى فادنى .. هذا هو الرد الحاسم على (توازن الرعب) .

ماذا قدمت الدول الراسمالية في اتصالاتها الاخيرة حول موضوع نزع السلاح ؟ وما هو مدى استجابتها للمبادرات السوفيتية والوارسوية المتتالية ؟ ما هو مدى نجاح الدول الاشتراكية في « تورط » الاطلسيين بسياسة السلم ونزع السلاح ؟...

---

٢ ــ يفهم من نصوص هذه المعاهدة انها تلزم الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ضمنا بعدم نشر منظومات مخصصة لمقاومة الصواريخ البالستية (في اي مكان) ، المادة ٢ من المعاهدة والمادة ــ ٥ ــ الفقرة ــ ١ ــ .

قمة البندقية لم تهتم كثيرا بهذا الموضوع ، فقد اقتصر توجهها « على موقف غير واضح وعام تجاه قضايا نزع السلاح » . (١)

اما اجتماع مجلس حلف شمال الاطلسي على مستوى وزراء الخارجية في ريكيافيك فلقد « قدم بصيصا من الامل في امكانية عقد اتفاقات سوفيتية ــ امريكية حول نزع السلاح النووي في اوروبا ، حيث وافق وزراء خارجية ست عشرة دولة عضو في الحلف على التصفية المحدودة للاسلحة النووية ، السوفييتية والامريكية في اوروبا والتي تشمل الصواريخ متوسطة المدى من (٥٠٠ ــ ٥٠٠٠) كم(٢) . ولكن هذا التقدم الايجابي على اهميته ، ليس مرضيا ومقنعا تماما ، فموقف الحلف الاطلسي ما زال مثقلا بالعديد من القضايا التي لم تحل :

ــ فهناك مثلا مسالة صواريخ بيرشنج (١) التابعة للجيش الالماني . ولقد رفضت المانيا ادخالها في المحادثات على اعتبار انها ليست تابعة للولايات المتحدة . لكن هذه الصواريخ يمكن ان تجهز في اية لحظة برؤوس نووية امريكية ، ومسالة هذه الرؤوس المحمولة هي من اختصاص الولايات المتحدة وليس المانيا .

ــ والناتو لا يزال يتمسك بفكرة « الخاصة الرادعة للتسلح النووي » كمذهب نظري يؤطر توجهات الحلف ، الامر الذي يشير الى عدم استعداد الناتو لتقبل فكرة « التخلص التام من الاسلحة النووية » ..

ــ والاوساط الاطلسية ما زالت متمسكة « بموضوعة راوني » والتي تتضمن امورا اقل ما يقال فيها انها تؤدلج التسلح وتعيد الى الاذهان فلسفة الحرب الباردة . ومن طروح هذه الموضوعة :

ــ ربط مسائل الرقابة على الاسلحة بقضايا حقوق الانسان « والقضايا الثنائية والاقليمية »(٣) ....

---

(١) و (٢) ــ راديو براغ ــ عن جريدة البعث في ١٦ــ ٦ .

٣ ــ واضح ان مثل هذا الطرح يشير الى التاثير الصهيوني القوي والضاغط ضمن المجموعة الاطلسية .

ــ رفض فكرة الموراتوريوم ، فما دامت الاسلحة النووية موجودة فلا بد من اجراء التجارب النووية (١) ...

ــ رفض فكرة الرقابة ، بحجة ان الرقابة تحول دون التوصل الى الحظر والتصفية الكاملة ، كما ان طبيعة النظام الاقتصادي الحر » لا تسمح بمراقبة القدرات الانتاجية للمؤسسات الخاصة والشركات متعددة القوميات ، حيث تنتج هذه الشركات ، مثلا ، ٥٠ ــ ٦٠٪ من حجم انتاج الاسلحة الكيميائية ...

لكن اجتماع ريكيافيك ، رغم هذه السلبيات ، ادى الى ظهور تقدم ملحوظ في مسألة تحديد السلاح ونزعه :

ــ فلقد اعطى الاجتماع واشنطن ضوءا اخضر للمضي قدما في ابرام اتفاق تاريخي مع الاتحاد السوفييتي قد يؤدي الى ازالة الصواريخ متوسطة المدى وقصيرة المدى من اوروبا ، كما توصل الاجتماع في الدقائق الاخيرة الى صيغة مقبولة حول خفض الاسلحة التقليدية .

ــ انهى الاجتماع مخاوف المانيا من ان يؤدي اي اتفاق محتمل حول ازالة الصواريخ متوسطة المدى الى تعريض الاراضي الالمانية لخطرين :

ا ــ خطر وجود الصواريخ السوفييتية قصيرة المدى ..

ب ــ خطر التفوق التقليدي المزعوم عند معاهدة وارسو ..

ــ بالنسبة لقضية الاسلحة التقليدية : اكد الاجتماع ضرورة اصلاح عدم التوازن بين الشرق والغرب في الاسلحة التقليدية ، وربط هذا الموضوع بمواضيع اخرى مثل حظر الاسلحة الكيميائية وتخفيض ٥٠٪ من الاسلحة طويلة المدى .. الخ ..

ــ قدم الاجتماع حلا للخلاف الفرنسي ــ الامريكي : فهذا الخلاف يدور حول تخفيض حجم الاسلحة التقليدية ، وكيفية اجراء المحادثات مع الاتحاد السوفييتي بهذا الصدد . ولقد تم التوصل الى حل وسط يقتضي اجراء المحادثات تحت رعاية مؤتمر الامن والتعاون الاوروبي . وهناك « مشكلة فرنسية » اخرى تم حلها . ففرنسا ليست مشتركة في الاطار العسكري لحلف الناتو ، وعليه فان قوتها النووية مستقلة خارج اطر الحلف الامر الذي يزيد العلاقات مع معاهدة وارسو تعقيدا . لكن فرنسا وافقت على سحب موضوعات وطروح امريكية حول الحد من الاسلحة النووية ..

---

١ ــ المورانوريوم يعني المنع او التوقف ، ولقد طبق الاتحاد السوفييتي مورانوريوم على التجارب النووية من طرف واحد مدة عام ونصف العام .

رابعا ــ « القضايا الاقليمية » ــ مضمون النزاع واساليب الحل

بالنسبة للقضايا الاقليمية ، وهي تهمنا بشكل خاص ، حيث أن اهم قضيتين دوليتين معاصرتين ، قضية النزاع العربي الصهيوني والحرب العراقية ــ الايرانية تتعلقان جوهريا بمصير الامة العربية ، ولقد اكد البيان المشترك لقمة برلين على المبدا العام لحل جميع النزاعات الاقليمية والذي ينص على تسوية هذه النزاعات تسوية سياسية عادلة على طريق المفاوضات ..

طبعا المبدا هنا عام ، وصحيح في جوهره ، لكنه تعلق باسلوب حل النزاعات لا بمضمون الحل ، على الرغم من ان كلمة (عادلة) الواردة في المبدا تشير الى اهمية المضمون ايضا . ومن المعروف ان القانون الدولي لايقتصر على بحث اساليب حل النزاعات بل يتطرق الى مضمونها ايضا ، فمبدا حق الشعوب في تقرير المصير ليس من مبادىء (الاسلوب) بل من مبادىء (المضمون) ، وهو مبدا قاعدي يمكن على اساسه ، وعلى اساسه ، فقط ، تقويم اي مبدا يتعلق باسلوب حل النزاعات . وعلاوة على ذلك ، هناك مبادىء تعطي كل شعب الحق باستعمال جميع الوسائل في تحرير ارضه ، لان الاحتلال مناقض للقانون الدولي بالضرورة ، والنضال التحرري ليس نزاعا عدوانيا او محدودا بين ذوات القانون الدولي (اي بين الدول) ، وانما هو مناهضة للاحتلال ، اي معاناة من اجل نصرة القانون الدولي والنظام الدولي ، لان الاحتلال ، كما اشرنا ، عمل مناقض للقانون الدولي مثلما هو مناقض لحقوق الشعب الذي وقع تحت وطأة الاحتلال ...

وعليه ، فان على قطرنا العربي السوري ان ينادي بمقارنة المبدا العام الذي ورد في وثيقة برلين ، مبدا التسوية السلمية على طريق المفاوضات ، بالمبدا الذي يؤكد المضمون اي مبدا حق الشعوب في تقرير مصيرها . لهذا فنحن نؤيد مبدا التسوية السلمية التفاوضية للنزاعات على اساس ، وفقط على اساس ، احترام حق الشعوب في تقرير مصيرها ورفض مبدا الهيمنة والسيطرة وضم الاراضي بالقوة . وهذا لايعتبر نوعا من « الشروط المسبقة » لان حق تقرير المصير مبدا ثابت وليس شرطا مسبقا يضمن افضلية امتيازية لهذه الجهة او ذاك .

وهكذا لابد من التاكيد ، على ان القانون الدولي ، ووثيقة الامم المتحدة بشكل خاص ، يفرق بين « مضمون » الحقوق و « اساليب » الوصول اليها . وحق تقرير المصير هو احد اهم اهداف الامم المتحدة (المادة الاولى ، الفقرة الثانية) بينما (اساليب) حل النزاعات ، تتضمن استعمال كل الطرق المتوفرة فيما اذا قامت احدى الدول او الجهات بالهجوم على اراضي غيرها وحقوقه . ولقد نصت المادة الحادية والخمسون على مايلي : « ليس في هذا الميثاق من حكم يمس الحق الطبيعي في الدفاع

من النفس بصورة فردية او مجتمعة ، في حال الاعتداء المسلح على عضو في الامم المتحدة » .. الهدف اذا (الدفاع عن النفس ، مقاومة الاحتلال ، حق تقرير المصير) يبرر الوسيلة التي تستعمل وبشرطها ، لذلك فان كل اسلوب لحل مثل هذه النزاعات، حتى ولو كان اسلوبا سلميا ، تفاوضيا ، **يجب أن يقترن بالهدف نصا ومضمونا .**

وبالمقابل ، كيف عالجت قمة البندقية موضوع الصراع العربي ـ الصهيوني ؟

في الحقيقة ، لم يك هذا الموضوع ضمن سلم اولويات القمة ، فاهتمام الزعماء السبعة انصب على الحرب العراقية ـ الايرانية و « الارهاب » وفي هذا دليل قاطع على صحة موقف حزبنا من هذه الحرب منذ بدايتها ، فلقد ارادوا لهذه الحرب ان تكون سبيلا لضغط القضية الفلسطينية والنزاع العربي ـ الصهيوني الى مراتب بعيدة ومتدنية في اولويات الاهتمام العالمي ، ومن ثم اظهار هذا النزاع وكأنه واحد من ذلك النزاعات المتعددة في المنطقة وفي العالم ، نزاعات الحدود او ماشابه ذلك . ومثل هذا المنطق يؤكد اهمية ما عرضناه في هذه الدراسة حول ضرورة التأكيد على ان النزاع العربي الصهيوني يمثل قضية متميزة عن غيرها من القضايا ، وان لهذا النزاع خصوصيات تتطلب الاظهار والتأكيد دائما . وبدون حسم هذا النزاع لصالح اعادة الحقوق لاصحابها ستتزايد النزاعات الهامشية وتتوسع في محاولة لتغطية النزاع الاساسي في المنطقة لصالح المعتدى على طريق التداخل وخلط الاوراق ، ودخول القوى الامبريالية من النافذة بعد ان خرجت من الباب امام النضال التحرري لابنائها .

ان القانون الدولي يعطي الحق المعتدى عليه باستعمال الاساليب التي تمكن من أنهاء العدوان ، لان الاغتصاب والاحتلال ليس عملا موجها ضد الشعب الذي تعرضت حقوقه للاغتصاب واراضيه للاحتلال فحسب ، بل هو عمل موجه ضد الشرعية الدولية والمجتمع الدولي ككل . وهكذا فان المضمون هو الذي يحدد الاسلوب بالضرورة ، والتوازن الاستراتيجي الذي تعمل سوريا على تحقيقه يهدف الى صد العدوان الموجه ضدها وضد امتها العربية وضد المجتمع الدولي والشرعية الدولية كذلك . وحتى اكثر اساليب حل النزاعات سلمية لايمكن ان تنجح اذا لم يكن هناك توازن في القوى بين المتفاوضين ، ومعروفة هي ذلك القاعدة التي تنص على ان المعاملة المتساوية لايمكن ان تقوم الا بين المتساويين . ان التوازن الاستراتيجي يعطي فرصا افضل لنجاح المساعي السلمية ، التفاوضية ، لانه يفرض ، عمليا ، على المعتدي التخلي عن سياسته العدوانية وعلى الحل الانسحاب من الاراضي المحتلة والاعتراف بالحقوق الشرعية للشعب العربي الفلسطيني . والمؤتمر الدولي المطروح والذي تؤكده كل المؤتمرات والتجمعات والاتصالات الدولية يجب ان يكون مؤتمرا ذي صلاحيات تامة ومسؤولية كاملة ، ترعاه الامم المتحدة ويضم جميع اطراف النزاع .

وان يكون قادرا على اتخاذ القرار وتنفيذه تماشيا مع الارادة الدولية وحفاظا على الشرعية الدولية ضد أعمال الاعتداء عليها عبر الاعتداء على حقوق الشعوب واحتلال اراضيها . والقاعدة التي يعتمد عليها مثل هذا التصور تتجلى في حقيقة ان مبدأ تحريم العدوان والاحتلال ومبدأ حق تقرير المصير ليست مبادىء تفاوضية ، وانما هي مبادىء ثابتة ونافذ شرعيتها الدولية ، لا من اطرها التعاقدية ، وانما من كونها خارج كل الاطر التفاوضية والتعاقدية بالذات .

البديل التوازن الاستراتيجي كعنصر اساسي لتسوية مستوى المفاوضين الفعلية، والبديل للاحترام المطلق للمبادىء المذكورة ، هو ما تطرحه القوى الامبريالية والصهيونية الآن ، والمشاريع الجزئية والمنفردة ، الكامب ديفيدية ومفرزاتها .

ان المبادىء المطروحة هنا وسبل حل النزاعات وارتباط الاسلوب دائما بالمضمون ، تمثل اطرا عامة لابد ان تتسلح بها الشعوب لمواجهة الامبريالية والصهيونية والعنصرية . وهي مبادىء لاغنى عنها في هذه المواجهة في امريكا الوسطى وجنوب افريقيا وفي جميع مناطق العالم الاخرى .

وبالنسبة للحرب العراقية ـ الايرانية ، فلقد ساد اعتقاد بين المحللين ان ريغان فشل في اقناع حلفائه الاوروبيين بتبني سياسته تجاه منطقة الخليج . وينطلق المحللون في دعم اعتقادهم هذا ان البيان حول الحرب المعنية ، طالب بالاعتماد على الامم المتحدة في وضع حد لهذه الحرب ، وان المؤتمرين اصروا على عدم التورط العسكري المباشر بمنطقة الخليج كما طالب ريغان ..

في اعتقادنا ان هذا التقويم متسرع . فمن الصعب على كل متابع القبول بهكذا الراي الذي ينطلق من منطلق تبرئة اوروبا واخفاء نزعتها الامبريالية واظهارها وكأنها ذلك السد الذي يقف في وجه طموح الولايات المتحدة الامريكية ومطامعها .

صحيح ان اوروبا الغربية قد لا تجاري ادارة ريغان في اسلوب الاعلان المتطرف والتغطرس للسياسات والمواقف ، لكن هذا لا يعني ان التوجه في جوهره مختلف ، والسياسة في خطوطها العامة لا تتناسب مع المصالح الامبريالية ، وان كانت هناك اختلافات في الهوامش او في طرق التعبير عن هذه السياسة او حتى في اساليب تنفيذهـــا ..

لقد طالب ريغان بالوجود العسكري المشترك في منطقة الخليج ، لكن الاوروبيين (عدا بريطانيا) الذين تفرض عليهم عراقتهم وثقافتهم ومصالحهم نوعا من الدبلوماسية ، ارتأوا ان مثل هذه الامور لا تعلن وانما يمكن تنفيذها عبر اساليب اكثر التواء واقل غطرسة ووضوحا . وفعلا ، لقد انطلقت فرنسا عاتلة أثرهم

الايراني مع ايران لتقطع علاقاتها الدبلوماسية ، ولتعلن استنفار قواتها وتوجهها نحو الخليج .. وبريطانيا موجودة في الخليج اصلا ، فهل كان من الضروري اعلان هذا كله في بيان صادر عن قمة مسؤولة (١) ...

واخيرا .. ان التحركات والاتصالات النشطة جميعها ،والتي عرضت في هذه العجالة تساعد الباحث على تبين طبيعة العلاقات الدولية في عالمنا المعاصر ، وعلى كشف توجهات القوى المؤثرة فيها وطموحها ومصالحها .. ذاك التبين وهذا الكشف يمثلان المنطلق الاساسي لبناء القدرة على اختيار السلوك الذي يتماشى ومصالح امتنا العربية وتحقيق اهدافها في الوحدة والحرية والاشتراكية .

(١) ــ لقد وافقت بريطانيا على ان ترفع بعض الشأن علم مستعمرة (جبل طارق) مما يسمح لها طلب حماية الاسطول البريطاني . وبالمقابل فلقد رفضت الولايات المتحدة رفع اعلامها قبل صدور قرار من مجلس الامن حول الحرب .. وهكذا يبدو ان السياسة الاطلسية متوافقة ومتكاملة لدرجة يبدو عندها سخيفا ذلك الاهتمام الاعلامي بالخلافات الاوروبية ــ الامريكية حول حرب الخليج ..

المشاكل التي تجابه حركة بلدان عدم الانحياز

الرفيق : د. أمين اسبر

يمكن تصنيف المشاكل التي تجابه حركة بلدان عدم الانحياز الى داخلية تتعلق بالتناقضات الموجودة في اطار هذه البلدان ، وخارجية تتمثل في الوضع الاقتصادي الدولي المتفجر الذي يمر به عالمنا المعاصر عموما نتيجة لعملية سباق التسلح ، وما يترتب على ذلك من تردي الاوضاع الاقتصادية في بعض بلدان الحركة بشكل خاص .

١ ــ التناقضات الموجودة داخل بلدان حركة عدم الانحياز :

تبدو بعض التناقضات داخل بلدان حركة عدم الانحياز امرا طبيعيا لا تخلو منها اية منظمة اقليمية او دولية : تناقض في حجم سكان الدول الاعضاء ، فمن دول يبلغ عدد سكانها بضعة ملايين الى اخرى يبلغ عدد سكانها بضعة آلاف . وتناقض في المواقع الجغرافية فمن دول مائية او متوسطية الى اخرى داخلية . وتناقض في الموارد الاولية فمن دول يعتمد اقتصادها على النفط الى اخرى تشكل وارداتها من النفط عبئا على ميزانيتها العامة . وتناقض في المستويات الثقافية والصحية والاجتماعية . وتناقض في الاصول والاثنيات وذلك بالاضافة الى التناقضات المتعلقة بأساليب الانتاج .

ومثل هذه التناقضات لاتشكل في الواقع اسبابا لمنازعات حاسمة:

ثمة تناقضات من نوع آخر تتمثل في تعدد وتباين الانظمة السياسية والدستورية للدول الاعضاء في الحركة ، فمن انظمة ملكية مطلقة او مقيدة الى ليبيرالية على النمط الديمقراطي الغربي ، الى رئاسية ، او ديمقراطية ثورية تؤخذ بالخيار الاشتراكي فالى انظمة تتخذ من الماركسية ـ اللينينية اساسا للسلطة والحكم .

ومثل هذه التناقضات ايضا يمكن ان تكون مجالا لتغني التجارب السياسية والدستورية لبلدان حركة عدم الانحياز فيما اذا اتخذت من مبدا التعايش السلمي اساسا لسلوكها في علاقاتها الثنائية بعضها مع البعض الاخر ، بعد أن كانت قد أكدت هذا المبدا من الناحية النظرية في قراراتها المتعاقبة .

ان التناقض الاساسي الذي يصل الى حد النزاع بين دولتين فاكثر يحصل عندما تعتقد احدى الدول الاعضاء ان النظام السياسي والدستوري القائم في الدولة المجاورة لها اصبح يشكل خطرا على استمرارها ووجودها ، وهي من اجل درء هذا الخطر تعمل على تاجيج النزاع ، وتزكية الشعور القومي ، ومن ثم الى اتخاذ عدد من الاجراءات التي تعمق شقة الخلاف بين مصالح الشعبين المتجاورين .

وقد لا يكون التناقض بين نظامين دستوريين في بلدين مجاورين هو الاساس بحد ذاته ، وانما يكمن في ان احد النظامين يرتبط ارتباطا وثيقا او يتحالف بصورة مباشرة مع النظام الامبريالي العالمي ، بحيث يصبح هذا النظام خطرا يهدد امن الدولة المجاورة .

وتذهب بعض البلدان الموالية للولايات المتحدة الامريكية والغرب الى ان مجرد قيام نظام اشتراكي في بلد مجاور متحالف مع الاتحاد السوفييتي ويرتبط امنه بأمن النظام الاشتراكي يعني ان ذلك يشكل خطرا عليه . فهو من اجل ذلك يبادر الى محاولة عزل هذا النظام الجديد اقليميا وخلق معارضة داخلية بوسائل مختلفة .

يبقى من نافلة القول الاشارة الى ان اقتسام خارطة العالم بين القوى الاوروبية الغربية الاستعمارية منذ معاهدة برلين ـ ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥ ـ قد خلق اجواء توتر دائمة سيما بين بلدان القارة الافريقية

بعد حصولها على استقلالها نظرا لان الحدود بين معظم هذه البلدان انما رسمت في حينها تبعا لمصالح البلدان الاستعمارية ونفوذها وليس تلبية للواقع الاثني والاجتماعي والثقافي .

ان حركة عدم الانحياز كما يرى الكاتب بوريانا تاديتش لا يمكنها ان تكون مسؤولة عن الفشل في ايجاد حل للنزاعات بين بلدان اعضاء فيها ، اذ ان جذور هذه النزاعات لا تكمن في الحركة ، كما ان رسالتها الاولية لاتكمن في ايجاد حلول لهذه النزاعات ، وبكل تاكيد فانه لا يجوز قياس فعالية الحركة بما اسفرت عنه انشطة الحركة في هذا المجال (١) .

الا ان ذلك لا يحول دون القول بأن الخلافات بين بلدان عدم الانحياز كما يرى الكاتب نفسه تستدعي مسؤولية الحركة ورسالتها التي تريد الحركة ان تطلها على العالم . ان تلك الخلافات لا تزيد الى حد كبير من مشكلات الحركة فحسب ، وانما تعتبر خطرا يهدد استقرار مجمل النظام الدولي الذي تسعى البلدان غير المنحازة الى تحسينه ، وهي عرقلة جلية لنشاط الحركة وتاثيرها (٢) .

٢ ـ التدخل المباشر للولايات المتحدة الامريكية في النزاعات الاقليمية والاوضاع الداخلية :

ان التوفيق بين الرايين السابقين للكاتب نفسه ممكن جدا اذا اخذنا بعين الاعتبار ان التناقض الاساسي في عالمنا المعاصر هو بين حركة وسياسة عدم الانحياز من جهة ، وبين السياسة الامريكية والاستعمار الجديد والعنصرية بما في ذلك الصهيونية من جهة ثانية . ولسوف تبقى ظاهرة الحروب الجزئية ، والاقليمية ، احيانا ، امرا طبيعيا طالما ان الالية العسكرية للدول الراسمالية مستمرة في صناعة الاسلحة والاتجار بها .

وعلى هذا الاساس فان اخطر النزاعات الموجودة في العالم ، اذا ما وضعنا جانبا خطر سباق التسلح والتسلح النووي ، هي تلك

(١) بوريانا تادتش ، سياسة عدم الانحياز وحركته ، نزعة وخيارا جديدان . مقال نشر في المجلة اليوغوسلافية « الاشتراكية فكرا وتطبيقا » ، المرجع السابق ص ١١٦

النزاعات التي تعتبر الولايات المتحدة الامريكية والدول الغربية طرفا فيها ، مما نشهده حاليا بصورة جلية في القارات الثلاث :

في آسيا حيث يستمر الصراع العربي ـ الصهيوني بين الوجود التاريخي والحضاري للشعب العربي الفلسطيني الذي هو جزء من شعبنا العربي من جهة ، وبين مجموعات بشرية جاءت من مناطق مختلفة من العالم ، واعلنت « اسرائيل » كدولة على أرض لا تملكها ، بعد أن شردت أصحاب الارض الاصليين .

وخطورة النزاع هنا تكمن في « ان الامريكيين ملتزمون وسيظلوا دائما ملتزمين بمساعدة « اسرائيل » ، ولهذا ينبغي لهم اي للامريكيين، كما قال وزير خارجية الولايات المتحدة ، أن يبينوا للعالم بوضوح ، عبر تأييدهم المادي والمعنوي لاسرائيل وعبر التصويت الامريكي في الامم المتحدة ان الولايات المتحدة حليف دائم وصامد لايتزعزع لاسرائيل » (٣)

وفي افريقيا حيث يقوم النظام العنصري في جنوب افريقيا ، وناميبيا بين الافارقة من جهة ، وبين نظام الاقلية العنصرية التي تتخذ من الابارتايد (٤) أساسا لنظامها السياسي والدستوري مدعما من الولايات المتحدة الامريكية التي تستخدم كل نفوذها الدبلوماسي ووسائل الضغط المختلفة للحيلولة دون توقيع عقوبات اقتصادية جماعية رادعة على المستوى الدولي ضد نظام الابارتايد ، منتهكة بذلك قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة ومقررات مؤتمرات عدم الانحياز .

قال رئيس مجلس الامم المتحدة لناميبيا في بيانه أمام الدورة الاستثنائية الطارئة الثامنة للجمعية العامة : « أن الحياد الذي تدعيه الولايات المتحدة يصل الى حد التأييد العلني لجنوب افريقيا » ،

(٢) المرجع السابق نفسه ، ص ١٠٤ .

(٣) خطاب وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية في نيسان ١٩٨٥ ، امام لجنة الشؤون العامة الامريكية ـ الاسرائيلية في مدينة كريستال بولاية فرجينيا .

(٤) د. أمين اسبر ، أفريقيا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، دار دمشق١٩٨٥

واستطرد يقول : « أن الولايات المتحدة اذ تضع مصالحها الاقتصادية والاستراتيجية فوق الرغبة الصريحة للمجتمع الدولي لانغا تشجع جنوب افريقيا على انتهاج سياسة خطيرة تهدد السلم والامن الدوليين » (٥)

وبالاضافة الى ذلك فان حكومة الولايات المتحدة باستخفافها بنداءات منظمة الوحدة الافريقية وحركة عدم الانحياز ، وبتدخلها الفاضح في الشؤون الداخلية لانغولا ، وبتعاونها الصريح مع نظام بريتوريا العنصري من اجل دعم الفصل العنصري في الداخل ، ومساعدة العصابات في الخارج ، اصبحت عقبة يجب ازالتها ، اكثر منها وسيطا امينا في العملية التفاوضية المؤدية للتعجيل بتنفيذ قرار مجلس الامن ٤٣٥ ـ ١٩٧٨ ـ ٠ (٦)

وفي القارة الامريكية ، مايزال العالم يتذكر كيف غزت الولايات المتحدة في ٢٥ تشرين الاول ١٩٨٣ جزيرة غرينادا الدولة الصغيرة والضعيفة في دول البحر الكاريبي ، لانها اتبعت سياسة عدم الانحياز، واختارت لها طريق التطور الاقتصادي ـ الاجتماعي ، مما حدا بمكتب تنسيق حركة عدم الانحياز الى شجب التدخل المسلح في غرينادا ، بوصفه انتهاكا صارخا لمبادىء القانون الدولي . كما تعتبر الولايات المتحدة نفسها خصما لنظام الحكم القائم في نيكاراغوا ، والذي اطاح باخطر معقل من معاقل الدكتاتورية ، حتى ان محكمة العدل الدولية في لاهاي قد اصدرت قرارا ينص على عدم شرعية المعونات التي تقدمها الحكومة الامريكية للمتمردين في نيكاراغوا .

٣ ـ عدم كفاية آلية التنسيق :

سبق ان اشرنا خلال الحديث عن المؤتمر الاول لحركة عدم الانحياز الى التساؤل الذي كان مطروحا على بساط البحث حول

(٥) الوثائق الرسمية للجمعية العامة ـ الدورة الاستثنائية الطارئة الثامنة الجلسات العامة ، الجلسة الثالثة .

(٦) الفقرات ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ ن الاعلان السياسي ـ الحالة في الجنوب الافريقي ـ المؤتمر هراري ١٩٨٦ .

اقامة تنظيم وجهاز دائم للحركة، على غرار ما هو عليه الحال في منظمة الامم المتحدة او المنظمات الاقليمية . (٧)

ولقد ظل هذا التساؤل موضع اخذ ورد حتى اقر مؤتمر القمة الخامس للحركة في كولومبو ، في جلسته الختامية التوصيات المتعلقة بتشكيل واختصاصات مكتب التنسيق التي سبق ان اتخذها مؤتمر وزراء الخارجية الذي كان قد اجتمع في كولومبو .

ان مكتب التنسيق هو بمثابة جهاز دائم للحركة ، اذ « يتألف من ممثلين تختارهم مؤتمرات رؤساء الدول والحكومات وفقا لمبادىء التوزيع الجغرافي المتوازن والاستمرارية والتناوب » . (٨)

اما اعتماد قرارات حركة عدم الانحياز فيتم بالاتفاق العام في الاراء ، وقد ورد في القرار المتعلق بوسائل دعم الوحدة والتضامن والتعاون بين البلدان غير المنحازة الذي صدر عن قمة هافانا ان الاتفاق العام « يتسم في الاراء بسمة لايمكن تعريفها بالكلمات الا اننا نعرف جميعا مفهومها . ان الاتفاق العام يفترض التفاهم واحترام وجهات النظر المختلفة بما في ذلك الاختلاف ، وبالتالي فانه يتطلب تفاهما متبادلا ، ويمكن على اساسه التوصل الى اتفاق من خلال عملية موائمة مخلصة بين الدول الاعضاء تمشيا مع الروح الحقيقية لعدم الانحياز . كما يعتبر الاتفاق العام في الاراء صيغة لحل وسط نهائي تؤدي في النهاية الى موقف متفق عليه بشكل عام ، وذلك بفضل المشاورات والمناقشات والمفاوضات السابقة لذلك . وبعبارة اخرى ، فان الاتفاق العام في الاراء يمثل تقاربا عاما وتنسيقا بين وجهات النظر التي تعبر عن اكبر قدر من الموافقة في المؤتمر والاجتماع ، ويعزز وحدة الحركة وقوتها او يصونها على الاقل » .

وهكذا فان عملية اتخاذ القرار داخل حركة عدم الانحياز تتم في اطار من الديمقراطية والتعاون والحرص على وحدة الحركة ، وهذا

(٧) « المناضل » العددان ٢٠٤ ـ ٢٠٥ المواقف الاقليمية والدولية من حركة عدم الانحياز .

(٨) جلسة مكتب تنسيق حركة عدم الانحياز بتاريخ ٢٩ تشرين الاول ١٩٨٣ .

غاية ما يمكن ادراكه في الظروف الحالية للحركة ، الا ان ذلك يشكل بدوره احد المشاكل التي تجابه الحركة لسببين اولهما ان العديد من الدول الاعضاء قد يضطر في المحافل الدولية لاتخاذ مواقف غير متطابقة مع تلك التي اتخذتها خلال مؤتمرات القمة ، ويعود هذا الى عدم وجود المؤيد المناسب للالتزام دوما بقرارات الحركة . والواقع ان هذا ماتتعرض له المنظمات الاقليمية بشكل عام .

السبب الثاني أن امكانية التنسيق خارج نطاق الحركة يتطلب السرعة في اتخاذ القرار الملائم في الظرف الطارىء مما لايستطيع مكتب التنسيق أن يقوم به على نحو فعال نظرا لمصالح بلدان حركة عدم الانحياز الاقتصادية ، وارتباط مصالح الطبقات الحاكمة فيها بمصالح بعض البلدان في أوروبا الغربية بصورة خاصة ، والضغط الشديد الذي تمارسه الولايات المتحدة الامريكية على بعض البلدان الفقيرة على طريق استخدام الامن الغذائي او قطع المساعدات الاقتصادية والفنية او ما الى ذلك .



مجلس التعاون الاقتصادي «الكوميكون»

(الاهداف ـ المبادىء ـ الانشطة)

اعداد الرفيق : خالد فهد حيدر

في الفترة الممتدة من ٥ الى ٨ كانون الثاني عام ١٩٤٩ انعقد مؤتمر اقتصادي لممثلي « بلغاريا ، المجر ، بولنده ، رومانيا ، الاتحاد السوفياتي ، تشيكوسلوفاكيا » واقر هذا المؤتمر ضرورة انشاء مجلس للتعاون الاقتصادي بين هذه الدول الاشتراكية وقد اطلق عليه اختصارا اسم ـ الكوميكون ـ كان ظهور هذه المنظمة حدثا تاريخيا ، ذلك لانها اول منظمة دولية في العالم للتعاون الاقتصادي متعدد النواحي بين البلدان الاشتراكية ، هذه البلدان التي تتصف بوحدة نظامها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي .

ويضم المجلس حاليا كل من « بلغاريا ـ المجر ـ جمهورية فيتنام الاشتراكية ـ المانيا الديمقراطية ـ كوبا ـ منغوليا ـ بولنده ـ الاتحاد السوفياتي ـ تشيكوسلوفاكيا ـ رومانيا » .

وحيث ان المجلس ، يعتبر عاملا هاما في التقدم الاقتصادي والاجتماعي للبلدان الاعضاء فيه فهو يساعد على تطوير وتعميق العلاقات الودية الشاملة والتعاون بين شعوب البلدان الاشتراكية ذوات السيادة والفائدة المتبادلة من الخبرات الطليعية في بناء الاشتراكية واحداث التساوي التدريجي في مستويات التطور الاقتصادي .

*** اهداف المجلس :**

١ ـ المساعدة على التعميق المستمر للتعاون الاقتصادي .

٢ ـ تطوير التكامل الاقتصادي الاشتراكي والتنمية المخططة للاقتصاد الوطني وتعجيل التقدم الاقتصادي والفني في البلدان الاعضاء .

٣ ـ رفع المستوى الصناعي في البلدان الاقل تطورا في الصناعة.

٤ ـ زيادة الانتاج وزيادة الرفاهية لشعوب هذه البلدان كل هذا عن طريق وتوحيد وتنسيق جهود هذه البلدان . هذا وقد تجسدت في نشاط المجلس عمليا علاقات اقتصادية دولية من طراز جديد فالمجلس قائم على اسس ومبادىء تساوي سيادة كل البلدان الاعضاء .

وفقا لما نص عليه الميثاق لايحق لاية دولة من الدول الاعضاء

التدخل في الشؤون الداخلية لاية دولة عضوة في المجلس على ان يكون التعاون بما يتناسب والمصلحة القومية لهذه البلدان على اساس رفاقي متبادل وهذا عكس ما يجري تماما في السوق الاوربية والاحتكارات الغربية الراسمالية فكل الدول الاعضاء في المجلس جبهة عمل مشتركة للنهوض بالمجتمع نحو الامام .

ان تطوير التعاون على اساس هذه الاهداف والمبادىء يساعد على بلوغ الاهداف التي حددها ميثاق هيئة الامم المتحدة . وينظم المجلس تعاونا اقتصاديا وعلميا وفنيا شاملا بين اعضائه في مجال الاستخدام الاكثر دراية لمواردها الطبيعية وتعجيل تطور قوى الانتاج ويساعد على تنمية وتطوير التكافؤ الاقتصادي الاشتراكي وتقسم العمل على طريق تنظيم الاستشارات المتبادلة في المسائل الاساسية الاقتصادية وتنسيق خطط تنمية الاقتصاد الوطني واعداد البرامج الطويلة الاجل للتعاون وتخصيص وتنسيق الانتاج بين البلدان الاعضاء في المجلس مع مراعاة التقسيم العالمي للعمل .

هذا ويتخذ المجلس التدابير الكفيلة بحل المشاكل التي تهم البلدان الاعضاء من تنسيق وتحقيق القرارات المشتركة في مجال تطوير الصناعة والزراعة وتطوير النقل بهدف الوفاء بعمليات النقل المتنامية وشحنات التصدير والاستيراد والمرور العابر في البلدان الاعضاء وتحقيق الاستخدام الاكثر فعالية للاستثمارات الاساسية التي تخصصها هذه البلدان لتطوير مجالات الاستخراج والتبديل والتحويل في الصناعة وكذلك تشييد اهم المشروعات التي تحظى باهتمام بلدين او اكثر من البلدان الاخرى وتبادل منجزات العلم والتقنية والخبرة الطليعية في الانتاج .

ويساعد المجلس على ربط كل بلدين باتفاقيات ثنائية تمهد الطريق للتعاون الثنائي بهدف تحقيق التدابير الواردة في البرامج الطويلة الاجل للتعاون الشامل وقد خول المجلس باصدار التوصيات والقرارات على اجهزته العاملة في اطار هذه الصلاحيات ويحق للمجلس ابرام الاتفاقيات الدولية مع البلدان الاعضاء في المجلس والبلدان الاخرى والمنظمات والهيئات الدولية وتصدر التوصيات في مسائل التعاون الاقتصادي والعلمي التقني ويجري تنفيذ هذه القرارات في البلدان الاعضاء وفقا لقرارات الحكومة والاجهزة الاخرى ذوات الصلاحية في هذا البلدان بما يتمشى مع التشريع فيها .

اما القرارات فهي تصدر في المسائل التنظيمية والاجرائية وتعد سارية المفعول منذ يوم توقيع محضر جلسة جهازها المعني من اجهزة المجلس ما لم ينص على غير ذلك في نص القرار ولا تتخذ اية توصية او قرار في المجلس الا بموافقة البلدان المعنية الاعضاء . ويحق لاي بلد الاعراب عن اهتمامه باية مسالة مطروحة للبحث وهناك مواضيع يحق لبلد او لعدد من البلدان الا تشارك بها فتعفى ولا تنسحب القرارات والتوصيات على هذه البلدان .

❋ الهيكل التنظيمي :

● دورة المجلس :

تعتبر اعلى جهاز في المجلس وتتالف الدورة من وفود جميع البلدان الاعضاء في المجلس وتكون الوفود عادة برئاسة رؤساء الحكومات في هذه البلدان وتعقد الجلسات الدورية للدورة مرة واحدة في كل عام ويمكن ان تكون اكثر ويتولى رئاسة الجلسة رئيس وفد البلد الذي يجري فيه الاجتماع .

ـ صلاحيات الدورة :

١ ـ مناقشة كل المسائل التي تدخل ضمن صلاحيات المجلس ويحق للدورة اتخاذ التوصيات واصدار قرارات المجلس .

٢ ـ تبحث الدورة المسائل الاساسية للتعاون الاقتصادي والعلمي والفني وتحدد الاتجاهات الرئيسية لنشاط المنظمة .

٣ ـ تناقش تقرير اللجنة التنفيذية من نشاط مجلس التعاون وتقرر حصص اشتراك البلدان في ميزانية المنظمة .

٤ ـ قبول عضوية الاعضاء الجدد وتعيين سكرتير المجلس .

٥ ـ انشاء اجهزة عاملة ضرورية لتنفيذ ما تطرحه الدورة من مهام وتقر التعديلات المقترحة على ميثاق المجلس .

● **الجهاز التنفيذي :**

هو اللجنة التنفيذية المكونة من ممثلي البلدان الاعضاء في المجلس على مستوى نواب رؤساء الحكومات وممثلي البلدان في اللجنة هم دائمون لبلدانهم في المجلس في الوقت نفسه .

ـ مهمات اللجنة :

١ ـ الاشراف على الاعمال وتحقيق الاهداف التي تطرحها دورة المجلس .

٢ ـ تنظيم وتحقيق المتابعة الدورية لالتزام البلدان الاعضاء بتنفيذ الالتزامات النابعة من التوصيات التي تتخذها اجهزة المجلس .

٣ ـ متابعة سير التعاون المتحقق ضمن اطار الاتفاقيات متعددة الاطراف .

٤ ـ الاشراف على عمل اللجان المركزية والفرعية الدائمة وعلى سكرتارية المجلس وكذلك الاجهزة المعنية الاخرى بالمجلس .

٥ ـ اقرار ميزانية المجلس وجدول الافراد الدائمين بسكرتارية المجلس والاحكام الخاصة بأجهزة المجلس .

٦ ـ اصدار القرارات والتوصيات في حدود صلاحياتها .

٧ ـ يقوم بمهمة رئيس اللجنة التنفيذية ممثلو البلدان الاعضاء بصفة دورية على ان يضطلع كل رئيس بهذه المهام لمدة عام .

وبهدف ضمان البحث المتكامل وحل المشكلات بشكل مستمر انشئت في المجلس ثلاث لجان دائمة هي :

١ ـ لجنة التعاون في مجال الامداد الفني .

٢ ـ لجنة التعاون في مجال النشاط التخطيطي .

٢ ـ لجنة التعاون العلمي التقني .

وتكون هذه اللجان من المشرفين على الاجهزة المعنية ذوات الصلاحية في البلدان الاعضاء في المجلس بمعدل مشرف واحد عن كل بلد وتنبثق هذه اللجان عن الدورات بهدف المعاونة على تحقيق التقدم الدائم وتطوير العلاقات الاقتصادية بين البلدان الاعضاء وتنظيم التعاون متعدد النواحي .

ـ مهام اللجان الدائمة وحقوقها :

١ ـ اعداد التدابير وتجهيز الاقتراحات الخاصة بتحقيق التعاون الاقتصادي والعلمي التقني متعدد الجوانب في بعض مجالات الاقتصاد الوطني لبلدان المجلس بما في ذلك اعداد مشروعات

الاتفاقيات المهنية متعددة الاطراف ، وتقوم ايضا بتنفيذ الوظائف التابعة من ميثاق المجلس وتوصيات ومقررات وقرارات دورات المجلس واللجنة التنفيذية ولجان المجلس .

٢ ـ للجان حق اتخاذ توصيات وقرارات وكذلك تقديم الاقتراحات لبحثها امام دورة المجلس واللجنة التنفيذية للمجلس والاجهزة الاخرى وذلك في حدود الصلاحيات المخولة ولقد انشئت في المجلس اللجان الدائمة وهذه بعضها :

لجنة الصناعات الكيماوية ـ لجنة المعادن الحديدية ـ لجنة صناعة النفط والغاز ـ لجنة صناعة الفحم ـ لجنةالطاقة الكهربائية ـ لجنة استخدام الطاقة الذرية ـ ولجان اخرى لكل الاختصاصات العلمية والعملية في مختلف المجالات الصحية والمالية والقياسية

● سكرتارية مجلس التعاون :

هي الجهاز الاقتصادي الاداري للمجلس وتتكون السكرتارية من سكرتير مجلس التعاون الاقتصادي ونوابه والافراد اللازمين لتنفيذ المهام الملقاة على عاتق السكرتارية .

ـ اهم واجبات السكرتارية :

ـ اعداد المواد والمقترحات لاجتماعات اجهزة المجلس .

٢ ـ تقديم العون لاجهزة المجلس في اعداد مشروعات الاتفاقيات متعددة الاطراف والتقدم بمقترحات من جانبها في مسائل التعاون الاقتصادي والعلمي والتقني ووضع العروض والابحاث الاقتصادية واعداد واصدار المواد والنشرات الاعلامية وغيرها .

ـ سكرتير المجلس :

هو الشخصية المسؤولة الرئيسية للمجلس فهو الذي يمثل المجلس امام الشخصيات الرسمية والمنظمات الدولية والهيئات المختلفة .

● الملحقات بالمجلس :

ـ معهد مجلس التعاون الاقتصادي للمواصفات القياسية :

انشيء عام ١٩٦٢ م ويجري ابحاثا عامة ويقدم المقترحات الخاصة بتحديد المواصفات القياسية المعمول بها وانشاء مواصفات قياسية جديدة بهدف المساعدة في تطوير التوصيف القياسي في البلدان اعضاء المجلس ومقره الدائم هو موسكو .

ـ المعهد الدولي للمشاكل الاقتصادية في منظمة الاشتراكية العالمية وقد انشيء عام ١٩٧٠ والهدف منه :

تحقيق اعمال الاعداد المتكامل للمشاكل الاقتصادية الناجمة عن التعميق والتحسين المطرد للتعاون وتطوير التكامل الاقتصادي الاشتراكي بين البلدان الاعضاء في المجلس ويشترك في اعمال هذا المعهد جميع دول المجلس ما عدا فيتنام ورومانيا ، والمقر الدائم للمعهد موسكو واللغات الرسمية للمجلس هي لغات جميع البلدان الاعضاء ، اما لغة العمل بالمجلس فهي اللغة الروسية .

❋ علاقة مجلس التعاون الاقتصادي بالبلدان غير الاعضاء فيه :

اولا ـ بالبلدان النامية :

تندرج اكثر من ١٢٠ دولة في قائمة الدول الفئة النامية . هذه البلدان تتفق فيما بينها بانها دول تتعرض لانواع الاستغلال الاقتصادي بصور متعددة ، علما بان الاستقلال الاقتصادي يعتبر

اللبنة الاساسية للاستقلال السياسي ولا بد من التنويه على ان هذه البلدان تعاني مشكلة عدم تجانس الانظمة والشرائح الاجتماعية المختلفة .

وفي صلب استراتيجية دول المجلس « تقديم المساعدات بشتى انواعها لهذه الدول » ويقدم المجلس المساعدات التكنيكية والعلمية على طريق الاتفاقيات الثنائية او على طريق المجلس . وتتجه دول المنظومة الاشتراكية باستعداد كبير الى توسيع التعاون مع الدول الفتية وتدل الارقام على ذلك جليا . فاذا كانت دول المجلس قد قدمت حتى بداية عام ١٩٦٢ مساعدات اقتصادية وتكنيكية لـ ٢٤ من الدول النامية فانها قدمت عام ١٩٧٩ المساعدة لـ ٧٨ دولة بما في ذلك ٢٥ دولة اسيوية و٣٤ دولة افريقية و ١٩ دولة في امريكا اللاتينية .

وفي مجال التجارة الخارجية زاد حجم التبادل التجاري بين دول المنظومة والدول النامية في الفترة من عام ١٩٥٠ وحتى عام ١٩٧٩ اكثر من ٢٥ مرة . واهم البضائع التي توردها دول المجلس هي الماكينات والمعدات بما في ذلك معدات المؤسسات المتكاملة ، ويزداد عدد الاتفاقيات الطويلة الاجل التي تضمن استقرار التعاون الاقتصادي .

ويزداد التعاون الاقتصادي والتكنيكي ما بين الدول الاعضاء والدول النامية فمثلا تم ويتم بمساعدة الدول الاعضاء في المجلس بناء ما يزيد عن ٣٥٠٠ مؤسسة صناعية ومؤسسات اخرى في الدول النامية كمؤسسات الصناعات الحديدية وغير الحديدية والطاقة الكهربائية والبترول وتكريره والصناعات الخفيفة والغذائية

والمواصلات والاقتصاد الزراعي ومؤسسات اخرى تعمل على دعم الاقتصاد الوطني وتطويره .

ولقد ساعدت دول المجلس ، الدول الفتية النامية في اكتشاف الثروات الجوفية المعدنية وغير المعدنية مما ادى الى قيام صناعات ايضا بمساعدة دول المجلس التي لفتت نظر الحكومات في بلدان كثيرة الى اهمية الزراعة والارض وقدمت الالات والتقنيات العلمية الحديثة والتي تخدم الزراعة والانتاج الزراعي الذي يؤمن الغذاء لكثير من ابناء دول العالم الفتية .

ومن خلال انشاء المؤسسات التعليمية بمساعدة دول مجلس التعاون الاقتصادي واقامة المعاهد العليا في البلدان النامية تم اعداد الكوادر المتخصصة بالاضافة الى المنح التي تقدمها دول المنظومة الاشتراكية الى ابناء العالم النامي .

ثانيا ــ مع الدول الاخرى :

ان نشاط دول مجلس التعاون الاقتصادي وايجادها الحلول لكثير من المشاكل التي تواجه البشرية جمعاء جعلها تحظى باهتمام العديد من الدول الراسمالية المتطورة وقد اعلنت هذه الدول عن رغبتها بالتعاون مع دول المجلس وخصوصا الاتحاد السوفياتي الذي يلعب دور الريادة في نشاط المجلس ، فعلى سبيل المثال ابرمت اتفاقيات بين الاتحاد السوفياتي وكل من النمسا وفرنسا للتعاون حتى عام ١٩٩٠ ومع فنلنده حتى عام ١٩٩٥ ومع المانيا الاتحادية حتى عام ٢٠٠٣ ومع هذه الاخيرة بلغ حجم دورة التبادل التجاري فيما بينها وبين الاتحاد السوفياتي ٢ر٦ مليار روبل .

هذا وقد وسعت آفاق هذا التعاون اتفاقية انابيب الغاز وهي مشروع مشترك فريد من حيث الاطار في مجال توليد الطاقة ، ومن المقرر ان يتم تصدير اكثر من ٥ر١٠ مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي سنويا من الاتحاد السوفياتي الى المانيا الاتحادية هذا بدءا من عام ١٩٨٤ م .

وفي شهر شباط ١٩٨٣ وقع برنامج طويل الاجل لتطوير التعاون الاقتصادي والصناعي والعلمي والفني بين الاتحاد السوفياتي وبين اليونان .

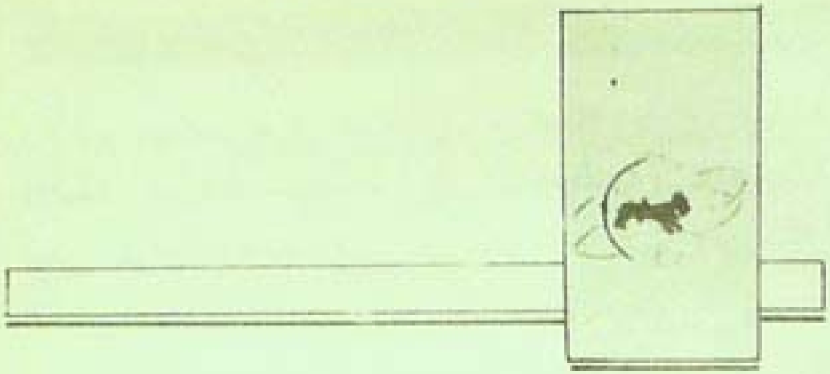
هذا وكانت دورة مجلس التعاون قد اكدت منذ عام ١٩٧٩ استعدادها لابرام اتفاقية مع السوق الاوربية المشتركة والبلدان الاعضاء في السوق على اساس التكافؤ في الحقوق بين الاطراف بما يخدم مصالح التعاون في عموم أوربا ..

ان النجاح الذي تسجله دول مجلس التعاون الاقتصادي عبر مسيرة الـ ٣٥ عام الماضية تدعونا كعرب للاستفادة من هذه التجربة الرائدة التي قامت اساسا على بناء التكامل الاقتصادي الاشتراكي .

ان التكامل الاقتصادي العربي ضرورة حيوية وملحة لوطننا وعامل من عوامل استقلالنا الاقتصادي وبالتالي السياسي .

المراجع :

- مجلس التعاون الاقتصادي : وكالة انباء نوفوستي ١٩٨١ .
- مجلس التعاون الاقتصادي والبلدان النامية : فلاديمير بوزين ١٩٧٦ .
- صلات وعقود التعاون بين الاتحاد السوفياتي وبين البلدان الاجنبية ـ نوفوستي ١٩٨٤ .



لمحة موجزة عن المجتمع الاميركي الامبريالي

اعداد الرفيق : مرعي شحيد

يتميز المجتمع الاميركي عن المجتمعات القائمة في اي من اقطار العالم القديم بانه مجتمع تسود فيه التعددية في كافة نواحيه البنيوية والسلوكية . هذا الامر ناتج عن الظروف التاريخية التي نشأ فيها المجتمع الاميركي طوال القرون الاربعة الماضية . وغني عن القول ان الهجرات المتعددة والمختلفة التي قدمت الى اميركا هي التي اعطت المجتمع الاميركي شكله الحالي ، وهي التي تلعب دورا كبيرا في تقرير شكل البنية الاجتماعية وطبيعتها والاساس الفلسفي

والاقتصادي الذي يفرض نفسه على واقع الحياة اليومية ، الخاصة والعامة ، على شكل ممارسات سياسية ـ اجتماعية ـ اقتصادية تعكس القوة الذاتية لكل واحدة من المجموعات البشرية التي تشكل المجتمع الامركي .

نظرا لان المجتمع الاميركي خليط من مجموعات بشرية متعددة الاصول والاجناس قدمت من بلدان العالم القديم لاسباب تاريخية متعددة لامجال لذكرها هنا ، فإنه يجدر بنا التعرف على هذه المجموعات على طريق معرفة اصولها وحجمها البشري الموجود على الارض الاميركية حاليا . ولدى العودة الى المعطيات التي نشرتها دائرة الاحصاء في وزارة التجارة الاميركية اثر الاحصاء السكاني الذي اجري عام ١٩٨٠ يتبين مايلي :

يعود معظم الاميركيين في اصولهم الى الاصل الانكليزي والالماني ، فقد تبين ان خمسين مليونا من الاشخاص ينتسبون الى اصل انكليزي وان تسعة واربعين مليونا من الاشخاص يتحدرون من اصل الماني . ويمكن ان يعطي الجدول التالي فكرة عامة عن التوزع العددي لاكبر المجموعات الاميركية ، حسب اصولها البشرية :

١ ـ الانكليز	خمسون مليونا
٢ ـ الالمان	تسع واربعون مليونا
٣ ـ الايرلنديون	اربعون مليونا

٤ ـ الافارقة	واحد وعشرون مليونا
٥ ـ افرنسيون	ثلاثة عشر مليونا
٦ ـ ايطاليون	اثناعشر مليونا
٧ ـ اسكتلنديون	عشرة ملايين
٨ ـ بولونيون	ثمانية ملايين
٩ ـ مكسيكيون	ثمانية ملايين
١٠ ـ الهنود الاميركيون	سبعة ملايين
١١ ـ الهولنديون	ستة ملايين

تلي هذه المجموعات مجموعات اخرى اقل عددا من بينها :

١ ـ السويديون	اكثر من اربعة ملايين
٢ ـ النروبجيون	اقل من اربعة ملايين بقليل
٣ ـ الروس	اقل من ثلاثة ملايين
٤ ـ التشيكيون	اقل من مليونين
٥ ـ البلغار	اقل من مليونين
٦ ـ الويلزيون	اقل من مليونين
٧ ـ الدانمركيون	اقل من مليونين
٨ ـ البرتغاليون	حوالي مليون

اما بالنسبة للعرب الاميركين فقد قسمتهم الاحصاءات الاميركية الى :

١ ـ لبنانيون ٢٩٥ الفا

٢ ـ سوريون ١٠٧ الفا

٣ ـ عرب آخرون ٩٣ الفا

ثم هنالك الارمن ٢١٣ الفا

والايرانيون ١٢٣ الفا

والصينيون ٨٩٤ آلفا

والفيلبنيون ٧٩٥ الفا

واليابانيون ٧٩١ الفا

والكوريون ٣٧٧ الفا

والهنود الاسيويون ٣١٢ الفا

والفيتناميون ٢١٥ الفا

يعيش ١٦٪ من الامريكيين من اصل انكليزي في منطقة الشمال الشرقي للولايات المتحدة ، بينما يعيش ٢٣٪ منهم في المنطقة الشمالية الوسطى و٤٠٪ منهم في الجنوب ، و ٢١٪ منهم في الغرب

اما بالنسبه للاميركيين من اصل الماني فإن ١٩٪ منهم يعيشون في منطقة الشمال الشرقي ، بينما يعيش ٤١٪ منهم في منطقة الشمال الاوسط ٢٢٪ في الجنوب و ١٨٪ في الغرب

اما الاميركيون من اصل ايرلندي فإن ٢٤٪ منهم يعيشون في

الشمال الشرقي من البلاد و ٢٦٪ منهم يعيشون في الشمال الاوسط بينما يعيش ٣٢٪ منهم في الجنوب و ١٨٪ في الغرب .

اما الاميركيون من اصل فرنسي فإن ٢٦٪ منهم يعيش في الشمال الشرقي و ٢٧٪ في الشمال الاوسط ، بينما يعيش ٢٧٪ منهم في الجنوب و ١٩٪ في الغرب

بالنسبه للاميركيين من اصل ايطالي فإن ٥٧٪ منهم يعيشون في الشمال الشرقي من البلاد و ١٦٪ منهم يعيشون في الشمال الاوسط ، و ١٣٪ في الجنوب ، بينما يعيش ١٤٪ منهم في الغرب .

اما الاسكتلنديون فإن ١٩٪ منهم يعيشون في الشمال الشرقي من البلاد و ٢٢٪ في الشمال الاوسط ، بينما يعيش ٣٥٪ منهم في الجنوب و ٢٤٪ في الغرب .

بالنسبه للامريكيين العرب فإنهم يتوزعون على الشكل التالي:

اللبنانيون : يعيش ٣١٪ منهم في الشمال الشرقي للبلاد ، ٢٧٪ منهم في الشمال الاوط ، ٢٦٪ منهم في الجنوب و ١٦٪ في الغرب .

السوريون : يعيش ٤٧٪ منهم في الشمال الشرقي للولايات المتحدة ، و ٢٠٪ في الشمال الاوسط ، ١٨٪ في الجنوب و ١٥٪ في الغرب .

العرب الاخرون : يعيش ١٩٪ منهم في الشمال الشرقي

للبلاد ، ٢٩٪ في الشمال الاوسط ، ٢١٪ في الجنوب و ٣٠٪ في الغرب .

علما بان اكثر من نصف السوريين يسكنون في منطقة الشمال الشرقي وخصوصا في ولاية نيويورك ، بينما يتوزع اللبنانيون بالتساوي (تقريبا) على المناطق الجغرافية الاربعة .

اما الاسبان (مكسيكيون وغيرهم) بانهم يتركزون بالدرجة الاولى في الغرب ، ثم في الجنوب .

المذاهب الدينية في اميركا :

يبلغ عدد الاميركيين الذين يتبعون الكنيسه البروتستانتيه بمختلف مذاهبها (حسب احصاء عام ١٩٨١) ستة وسبعين مليونا وثلاثمائه وثلاث وتسعين الفا ، تنتظمهم كنائس يبلغ تعدادها في الولايات جميعها ثلاثمائه الاف وتسع واربعين كنيسه . اما اتباع الكنيسه الكاثوليكية الروميه فيبلغ تعدادهم واحدا وخمسين مليونا ومائتين وثمانيه الاف ، تنتظمهم كنائس يبلغ تعدادها اربعا وعشرين الفا ومائتين وسبع وسبعين كنيسه . بينما يتبع الكنائس الشرقية ثلاثة ملايين وثمانمائه وثلاث وخمسون الفا من الاشخاص ، تنتظمهم كنائس يبلغ عددها الف وستمائة وثمان وعشرين كنيسه . ويبلغ عدد اليهود في الولايات المتحدة حسب احصاء عام ١٩٨١ خمسة

ملايين وتسعمائه وواحد وعشرين الفا ، ينتظمهم كنس يبلغ تعدادها ثلاثه الاف وخمسمائة كنيسا .

اضافة الى ماسبق ، هنالك بوذيون يبلغ تعدادهم ستين الفا ينتظمهم ستون معبدا . اما بالنسبه للمسلمين فليس هنالك احصاء خاص بهم بمفردهم ، بل يدخلون في عداد الديانات الاخرى التي من بينها الروحانيون والطبيعيون ، وماشابه ذلك .

بعض الخواص التي يتسم بها المجتمع الاميركي :

اضافة الى التنوع العرقي ـ الاثني ـ الثقافي للمجتمع الاميركي ، نجد في هذا المجتمع سمات يكاد يتميز بها عن المجتمعات الاخرى في العالم ، ومن اهمها مايلي :

١ ـ كثرة التنقل ، اذا ان الاسرة الاميركية نادرا مايبقى في مكان معين تسكن فيه اكثر من خمس سنوات ، وحتى اذا استقر الابوان فالاولاد لايستقرون ، بل في حركة وانتقال شبه مستمرين .

٢ ـ انتشار الجريمة ، فقد وصل عدد الجرائم والمخالفات التي ترتكب الى نسب مرتفعة لاتعاد لها نسب في الدول الاخرى . وقد ضاقت السجون ـ على كثرتها ـ بالمجرمين والمنحرفين والمخالفين حتى ان بعض الكتاب بدا يتساءل عن فائدة السجون وفاعليتها كوسيلة لردع المجرمين عن اجرامهم والمخالفين عن مخالفاتهم . وقد انتشر تناول المخدرات في اوساط الشبيبه الاميركية بشكل مذعر ،

اذ لا تخلو مدرسة ثانوية من شلل الحشاشين والمنحرفين الذين تعجز المدارس عن معالجه اوضاعهم . واما وسائل الاعلام فهي تنقل في الجزء الاكبر من انبائها المحلية اخبار الجرائم التي تتراوح مابين القتل العمد والاغتصاب الى قيادة السيارات في حالة السكر . واذا اضيف الى ذلك افلام العنف التي تزخر بها الشاشة الصغيرة ، وافلام الرعب التي اصبحت موضة لدى الشاشة الكبيرة نجد ان الشعب الاميركي يعيش وسط العنف الذي يحيط به ليل نهار .

٣ ـ انعدام المساواة بين الرجل والمراة ، ويظهر ذلك جليا في كون النساء لايتلقون اجورا مماثلة للاجور التي يتلقاها الرجال الذين يعملون في العمل نفسه وتحت الظروف نفسها ومن الامور الغريبة احصائيه ذكرها التلفزيون الاميركي تقول انه لاتمر ثلاثة ثوان من الزمن الا وقد تعرضت انثى (امراة او فتاة) في الولايات المتحدة الى الضرب المبرح .

٤ ـ انتشار اللامبالاة في اوساط المجتمع ، ويتجلى ذلك في ابتعاد الشعب عن السياسة وانغماس الناس في انشطه اللهو ، والابتعاد عن المشاركة في الانتخابات ، حتى ان نسبة المقترعين لاتتجاوز ٤٥٪ من الذين يحق لهم الانتخاب عادة في احسن الحالات .

٥ ـ انعدام الامن الوظيفي ، اي ان الانسان الذي يعمل لايمكن ان يطمئن الى انه لن يسرح من عمله غدا ، ومن الظواهر العادية في

الحياة الاميركية وجود البطالة التي تاكل في النسيج الاجتماعي على نحو فتاك .

٦ ـ كثرة عدد المؤسسات والشركات الصغيرة التي تعلن افلاسها لدرجه ان بلغ عددها في آخر احصاء اذاعه التلفزيون نقلا عن وقائع جلسات مؤتمر الحزب الديمقراطي خمسا وخمسين الف حالة افلاس .

٧ ـ انتشار حوادث اختطاف الاطفال واختفاؤهم بالالاف لدرجه ان ذلك اصبح مشكلة اجتماعية ـ سياسة كبرى .

٨ ـ الارتفاع المستمر في اسعار المواد الاستهلاكية بشكل مبالغ فيه ، وارتفاع اجور السكن والخدمات .

٩ ـ الارتفاع الخيالي في اسعار الادوية والخدمات الطبية والتامين الطبي ، والارتفاع الكبير في اقساط الدراسة في الجامعات والمعاهد .

١٠ ـ ارتفاع نسبة حوادث الطلاق ، اذ انه من بين كل زيجتين تفشل واحدة ، وهذا يؤدي الى المشاكل الاجتماعية الناجمة عن النفقة ورعاية الاولاد ، وسواها .

١١ ـ التناقص المستمر في عدد افراد الطبقة الوسطى ، وذلك بتحول اعداد لاباس بها الى الطبقة الفقيرة .

الانعكاسات السياسية للبنيه الاجتماعية :

تتاثر السياسة الاميركية دائما بعوامل عديدة اهمها الضغوط التي تمارسها المجموعات العرقيه الاثنيه التي تؤلف في مجملها

المجتمع الاميركي » . وهي ضغوط تجري ممارستها بهدف خلق تايد (في السياسه الاميركية) لبلد آخر تعود اصول المجموعة الاثنيه اليه . فمثلا ، قامت الجاله اليونانية بضغوط لاجبار اميركا على تايد اليونان ضد تركيا في النزاع القبرصي وهكذا نجد ان الاصول الاثنيه تلعب دورا في تقرير نهج سياسي معين مؤيد لبلد ما، او معارض له ـ يعود ذلك الى عوامل سيكولوجية وتاريخية ، فمن الناحيه السيكولوجية نجدان الانسان الاميركي مازال يشعر بانتمائه الى مجموعة اثنيه ما ، وذلك لان الاندماج التام ، والانصهار الكامل في مجتمع اميركي موحد ، امران لم يحصلا بعد . حتى الرئيس الاميركي ـ اي رئيس اميركي ـ لاينسى انه ينتمي الى مجموعة ما ، وهو حريص عادة على زيارة البلد الذي تعود اصوله اليه ، كما فعل ريغان مؤخرا عندما زار موطنه الاصلي ايرلندا ، وكما فعل غيره من رؤساء اميركا .

على ان الاثر الذي تحدثه الضغوط ، والقدرة على احداث تغيير في المواقف السياسية المعلنه للولايات المتحدة الاميركية ، يختلف اختلافا شديدا بين مجموعة واخرى . وكثيرا ماتكون السياسة الاميركية المنفذة في الواقع مغايرة للمصالح الوطنية الاميركية لكنها تكون وليدة ضغوط مارستها مجموعة اثنيه ، او دينيه ، ذات نفوذ كبير ادى الى جعل الادارة الاميركية تتبنى موقفا ما كانت لتتبناه لو ان المصلحة الوطنية الاميركية هي المعيار الذي يستخدم لمحاكمة الامور . وقد انتبه الى الاثر الضار الذي تحدثه مثل هذه الممارسات عدد من الرؤساء الاميركيين الاوائل ،ومن بينهم

الرئيس الاول جورج واشنطن حين حذر من ان تخدم السياسة الاميركية غير المصلحة الاميركية . وصدر قبل ثلاث سنوات من مجلة السياسة الخارجية الاميركية مقال بقلم السناتور ماثياس (عن ولاية ماري لاند) عالج هذا الموضوع بالذات ، واوضح كيف ان الحجم العددي لايلعب كبير دور في تقرير مدى قدرة المجموعة على ممارسة الضغوط السياسة . وضرب مثلا على ذلك المجموعة المؤيدة لـ «اسرائيل» والمصالح اليهودية بشكل عام . اوضح ماثياس ان الجالية اليهودية في الولايات المتحدة تمتلك نفوذا كبيرا جدا يفوق حجمها العددي ، وذلك لانها مجموعة تعمقت في الثقافة الاميركية وعرفت دقائق الامور وخفاياها ، وشاركت مشاركة فعالة في اخذ زمام المبادرة في احداث تغييرات اجتماعية ، وهي الى جانب ذلك تستغل الاعلام والاصوات الانتخابية والخبرة المصرفية في كل المجالات ، وهي الى جانب ذلك تستغل الدين والتحاملات الدينية لكسب التايد في الاوساط الاميركية .

والعامل المهم الثاني هو العامل التاريخي ، والمقصود بالتاريخ هنا ليس الاحداث التاريخية فقط ، بل الوقائع والدوافع التي كانت وراء الاحداث . فحين بدات الهجرة الى الارض الجديدة كان الدافع اليها بالنسبة للافراد اما الهروب من الظلم والاضطهاد في العالم القديم ، او السعي وراء ثروة اكبر في العالم الجديد . وظل هذا العاملان يلعبان دورهما الفعال طوال فترة تشكل المجتمع الاميركي ، وقد ظلت هناك طبقة معينة شكلت النخبة القادمة من العالم القديم وهي تمتلك المال والسلطه والعقليه المغامرة . والى جانب ذلك كانت هنالك الطبقات الشعبية التي شكلت الغالبية ،

والتي انتظمت الطيف الاجتماعي – الاقتصادي . وفي الوقت الذي استوطن فيه الجنوب الاميركي فلاحون ومزارعون ، سكن الشمال (وخاصة الشمال الشرقي) طبقة الارستقراطيين والبورجوازيين الصناعيين والحرفيين . وحين دعت الحاجة الى تأمين عمال للمصانع وسكان للبيوت المعدة للاجار في المناطق الشمالية حصل الاصطدام بين الشمال والجنوب في حرب اهلية طاحنة . وسادت السياسة الاميركية منذ ذلك الحين نظرتان :(١) نظرة دولية Cintermationalism تؤمن بالاقتصاد الحر وتتجاوز حدود الدول والقوميات لصالح الاحتكارات والشركات العالمية . (٢) نظرة وطنية تؤمن ببناء اميركا حيث يلعب فيه القطاع العام دورا مهما ويخدم اقتصادها مجموع الشعب وليس طبقة معينة . مثل النظرة الاولى المغامرون واتباع النخبة الذين مازالوا حتى الان يتحكمون برقاب الشعب الاميركي . بينما مثل النظرة الثانية ابناء الطبقة الوسطى والطبقات الفقيرة الذين يعيشون حالة القلق الدائم ويتهددهم خطر الافلاس وتحول جميع ممتلكاتهم الى اصحاب البنوك والمصارف الدائنة . وضمن هذا النطاق استمر صراع طويل مازال يستعر حتى الان ، على الرغم من ان الامور تبدو وكانها قد استتبت لاصحاب النظرة الاولى الذين يتواجدون في معظمهم في الحزب الجمهوري ويمين الحزب الديمقراطي . وفشلت جميع محاولات ابناء الطبقة الوسطى والطبقات الفقيرة بإحداث حزب سياسي كبير يستطيع الدفاع عن مصالحهم ، فبعد ان كان الحزب الشعبي الذي ظهر عام ١٨٩١

بادرة امل لهم ، عجز هذا الحزب عن الوصول الى اهدافه الراديكالية في خلق قطاع عام يمتلك السكك الحديدية ويزيل الاحتكارات ويفرض ضرائب دخل تصاعدية لاتشكل عبئا على ذوي الدخل المحدود .

اما الحزب الاخر الذي ظهر قبل ذلك ومثل مصالح النخبة الشمالية ضد الجنوب الزراعي فقد كان الحزب الجمهوري الذي ظل مسيطرا على مقاليد الامور حتى عام ١٩٣٢ حين بدأ الحزب الديمقراطي في اكتساح الموقف ولعب الدور الرئيسي عوضا عن الحزب الجمهوري . ولم يحكم اميركا من الجمهوريين منذ عام ١٩٣٢ وحتى الان سوى ايزنهاور ، ريتشارد نيكسون ، ورونالد ريغان . اما الحزب الديمقراطي فقد نشأ اصلا نتيجة انقسام في الحزب الجمهوري إضافة الى المجموعة التي كانت في الاصل تسمي نفسها بالديمقراطية والتي كان من اعلامها توماس جفرسون واندرو جاكسون . وحين فشل حزب الشعب وحركته الزراعية في كسر احتكار الحزبين الجمهوري والديمقراطي في الساحة السياسية ذاب في الحزب الديمقراطي حيث لعب برنامج العمل الذي وضعه اصلا حزب الشعب دورا مهما في تقرير سياسات الحزب الديمقراطي ولكن حزب الشعب بدأ يظهر من جديد مؤكدا نهجه القديم ومنتقدا الحزبين الاخرين (الجمهوري والديمقراطي) لان سياساتهما لاتخدم المصلحة الوطنية الاميركية ، على حد قول حزب الشعب . ونجد صحيفة حزب الشعب المسماة « الضوء الكاشف Spotlight تهاجم كيسنجر واصحاب بيوت المال وكل الساسة الاميركيين المغامرين الذين يقحمون الولايات

المتحدة في الحروب والمغامرات التي تبعد الشعوب عن اميركا ولا تخدم الا مصالح خصوم اميركا .

على المدى المنظور ، ستظل الاصول الاثنيه والنظرة الاقتصادية الاجتماعية امورا مهمة في تقرير النهج السياسي الاميركي حيال القضايا العالمية ، ولذا نجد المجموعات الصغيرة تسعى الى الائتلاف فيما بينها لتشكيل قاعدة عريضة تستند اليها في اثناء الصراع السياسي وتبقى « المؤسسة الشرقية » « The Eastarn Establishment » ذات اثر فعال في السياسة الاميركية نتيجة تركز النفوذ التقليدي والثراء المصرفي والصلات الدولية في ذلك القطاع الاجتماعي ـ الجغرافي من الولايات المتحدة الاميركية .

بأقلام الرفاق

التمويل الاشتراكي .. منطلقاته .. مصاعبه

اعداد الرفيق : يوسف حبيب اليوسف

السمات العامة للاشتراكية :

ان الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية يجري بموجب قوانين عامة مشتركة بالنسبة لجميع البلدان التي تسلك سبيل الاشتراكية وهذه القوانين العامة المشتركة هي :

١ ـ سيطرة الطبقات والفئات الكادحة على السلطة واقامة سلطة الكادحين مع بقاء الدور القيادي للحزب الثوري .

٢ ـ الغاء الملكية الخاصة الراسمالية واقامة الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج الاساسية .

٣ ـ تحويل الزراعة تحويلا اشتراكيا وتدريجيا .

٤ ـ تطوير الاقتصاد الوطني تطويرا منهاجيا نحو بناء الاشتراكية نحو رفع حياة الكادحين .

٥ ـ تحقيق الثورة الاشتراكية في الميدان الفكري والثقافي وانشاء فئة كبيرة العدد من المثقفين المخلصين للطبقة الكادحة وقضية الاشتراكية .

٦ ـ تصفية الاضطهاد القومي واقامة المساواة والصداقة الاخوية بين الشعوب .

٧ ـ توطيد وتطوير الدولة الاشتراكية والدفاع عن مكتسبات الاشتراكية ضد اعتداءات الاعداء الخارجيين والدخليين .

٨ ـ تضامن الطبقة الكادحة في البلد المعنى مع الطبقة الكادحة في سائر البلدان(١) .

هذه الاسس تبين بأن النزعة الانسانية الاشتراكية تختلف عن النزعة الانسانية القديمة بثقتها الحقيقية بقوى الانسان وقدراته ومستقبله وهذه النزعة الاشتراكية الانسانية تطلب الكفاح من اجل سعادة الانسان وان مقياس احترامها الانسان هو في الوقت ذاته مقياس ماتطلب منه ، الا ان يغدو مناضلا ناشطا واعيا في سبيل سعادة البشر ، لان كفاح الطبقات الكادحة ينجب علاقة الرفقة ،

(١) مسائل الحركة الثورية في الوطن العربي القيادة القومية ص ١٠٩ ـ ١١١

وان حزب الكادحين ليربي جماهير الكادحين على روح الرفقة والاحترام المتبادل وهنا تكتسب كلمة رفيق جرسا جديدا ذا حرارة اعظم وقوة اكبر ويشعر الناس بأن هذه الكلمة جاءت لتوحد بينهم وترقى بهم شطر الحرية فتربطها برباط جديد متين من الاحترام المتبادل .

ان النظام الاشتراكي هو الذي وهب العالم هذه الروابط روابط الرفقة والاحترام المتبادل وسينمو الانسان الجديد انسان الاشتراكية الذي يرجح قول « نحن » على قول « انا » وفي هذا النظام وتقوم العلاقات الشخصية على الحب والصداقة وتغدو قاعدته علاقات اجتماعية انسانية ، علاقات تولد اخلاص الانسان الجديد لمثل عصره الانسانية العليا هذا الاخلاص هو خصلة خلقية وثيقة الارتباط بخصال اخلاقية اخرى ومشروط بها مثل العقائدية والقناعة العميقه بصحة القضية المنشودة والمبدئية التي تتطلب من الانسان الاتساق في قناعاته وتصرفاته والصبر على المصاعب والصمود وإغراءات الاعداء ومكائدهم ونكران الذات ، وغياب هذه الخصال غالبا ما يؤدي بالانسان الى الخيانة .

ان الطبقات الكادحة تناضل في ظل النظام الراسمالي لتحويل وطنها لمصلحة الكادحين لتحرير شعبها من كل اضطهاد وعندمايجعل الكادحون وطنهم بلدا اشتراكيا يصبحون سادة هذا الوطن ويعملون على ازدهاره الاقتصادي والثقافي وعلى حمايته من المعتدين بيقظة

ناصعة لا يحققها سوى الكفاح من اجل وطن حقيقي وطن اشتراكي.

وان قوانين التطور الاجتماعي التي تؤكد بان الانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية يستحيل على غير طريق الثورة ولكن اية ثورة ؟

انها الثورة التي تقودها الطبقات الكادحة وحزبها الطليعي ويترتب على الطبقة الكادحة ان تبسط زعامتها في النضال الذي يخوضه الشعب في سبيل انقلاب ديمقراطي تام في النضال الذي يخوضه جميع الكادحين المستثمرين ضد الظالمين المستثمرين .

وليست الطبقة الكادحة ثورية الا بقدر ما تبقى فكرة الزعامة وهذه وتطبقها عمليا ، وفي هذا الصدد يقول لينين :حين يدرك البروليتاري هذه المهمة يغدو عبدا يثور ضد العبودية . ان البروليتاري الذي لم يدرك وضعه كعبد هو في احسن الاحوال عبد يناضل في سبيل تحسين وضعه كعبد لا في سبيل دك نظام العبودية(١) .

والمفكر الروسي تشير نيفسكي منذ القرن التاسع عشر عبر اصدق تعبير عن النزعة الانسانية التي يجب ان يتحلى بها كل مناضل ثوري كل مناضل من اجل التقدم والاشتراكية حيث قال :

من المحال ان يحتفظ المرء بكرامته الانسانية وهو يجد الى جواره انسانا آخر ارغم على ان يحيا حياة البهيمة او اذا استمر استغلال الانسان للانسان »(٢) .

---

(١) لينين ضد التحريفية ص ٦٩ .

(٢) أ. شيشكين ص ٢٢٣ عن كتاب من الشرف الى الكرامة د. عادل العوا ص ١١٢ .

الاشتراكية في المنطلقات النظرية :

ان بعض المنطلقات النظرية التي اقرها المؤتمر القومي السادس لحزب البعث العربي الاشتراكي في تشرين اول عام ١٩٦٣ هي الدليل النظري للحزب في الثورة العربية الراهنة حيث اسهم الحزب من خلالها في وضع قضية الاشتراكية في الوطن العربي في اطارها الصحيح بطرحه المفهوم العلمي للاشتراكية ضمن الظروف العربية الراهنة .

ولهذا فان الطريق العربي للاشتراكية يستند الى الاسس التالية :

١ ـ الاستناد الى المنهج العلمي في التحويل الاشتراكي .

٢ ـ الاستفادة من التجارب الاشتراكية بما يناسب الواقع العربي .

٣ ـ الايمان بالثورة لحل مشكلات الوطن العربي .

٤ ـ تلازم النضال القومي والنضال الاشتراكي .

ونورد فيما يلي ماجاء في المنطلقات النظرية حول ما تهدف اليه الاشتراكية .

ان الاشتراكية تهدف الى اقامة نظام اجتماعي جديد يخلق ظروفا موضوعية اقتصادية واجتماعية وفكرية وسياسية ، تعتق الانسان من جميع انواع الاستغلال والتسلط والجمود وتتيح له الفرص لكي يصير انسانا حرا كليا .. ولكي تكون الاشتراكية حلا

كليا وجذريا لمشكلة الانسان العربي لابد ان تتوافر في النظام الجديد الظروف التي تهيىء :

١ ـ الغاء ظروف الاستغلال المادية بكل اشكالها .

٢ ـ تعميق المضمون الديمقراطي لان الحرية هي الاساس

٣ ـ تربية المواطن تربية اشتراكية علمية تعتقه من كل الاطر والتقاليد الاجتماعية الموروثة والمتأخرة .

عملية التحويل الاشتراكي :

جاء في المنطلقات النظرية ان الخطوط الاولية لعملية التحويل الاشتراكي تكون وفق الخطوات التالية :

١ ـ تحويل ملكية وسائل الانتاج الخاصة الى ملكية عامة للشعب بأسره ويلغي الحاجة للوسيط الراسمالي بصورة نهائية ويجعل دخل الفرد يرتبط مباشرة بعمله وكفاءته ويصهر سائر الطبقات في بوتقة واحدة وهو اخيراً يلغي اقتصاد الربح ويخلق اقتصادا يرتكز على الحاجات الاساسية .

٢ ـ اقامة علاقة انتاج اشتراكية في الريف تقتفي تحقيق شعار « الارض لمن يحرثها » لذا فان المزارع الجماعية هي في النهاية الاطار الاشتراكي في الريف .

« ان مشكلة الارض يجب ان تواجه بمنطلق اشتراكي علمي والاشتراكية كمبدأ ومنطلق تقتضي ثورة زراعية لا اصلاحا زراعيا

فحسب ، ان الثورة الزراعية هي التي ستفتح الطريق امام انطلاق اقتصادي سريع في قطاعات الانتاج الاخرى لانها ستفتح سوقا داخلية واسعة عند تحرير جماهير الفلاحين من الفقر والاستغلال » .

٣ ـ التخطيط الاشتراكي للاقتصاد وهو الطريقة الفعالة التي تمكن من استخدام جميع الموارد الوطنية المادية والطبيعية والبشرية بطريقة علمية وعملية تخدم تطوير الاقتصاد .

٤ ـ ان بناء مجتمع اشتراكي جديدة لايمكن ان يتوفر على نحو كامل وسريع واقتصادي الا بواسطة تعبئة الطاقات البشرية لشعبنا تعبئة كاملة ، وان الطلائع الثورية هي التي تسهر على التطبيق وتضمن له النجاح وتحقيق الانسجام اللازم بين الجوانب الفنية للتطوير الاقتصادي وبين متطلبات الانسانية .

ان هذه الخطوات الاساسية في مرحلة التحويل الاشتراكية من المحال ان تتحقق بسهولة وانه وكما قال ماركس : « من السهل جدا صنع تاريخ العالم لو كان النضال لايقوم الا ضمن ظروف تؤدي حتما الى النجاح »(١) .

بل ان ذلك يتطلب اداة ثورية لانه لا نظام ثوري بدون نظرية ثورية ولا نظرية ثورية بدون كادر ثوري ولا كادر ثوري بدون تنظيم

(١) لينين ضد التحريفية ص ١١ .

ثوري ولا اشتراكية بدون اشتراكيين . هذا امر بديهي ويؤكد على ذلك ماجاء في المنطلقات النظرية ما يلي :

« ان بناء مجتمع اشتراكي ليس قانونا يصدر من اعلى لينفذ بضربة بيروقراطية بل هو عمل يومي دؤوب فيه صبر وفيه نكران للذات وان طليعة ثورية هي وحدها القادرة على خلق الظروف التي يمكن ان تمنع انحدار الجماهير الى التارجح بين ركود سياسي سلبي او حماس سطحي مؤقت يجعل المنجزات الاشتراكية ضربا من العلاقات المصلحية الصرفة بين السلطة الثورية وجماهير شعبها »(1) .

الصعوبات والعقبات التي تواجه البناء الاشتراكي :

ان الرجعية المحلية في كل قطر عربي مهما بدت لنا انها ضعفت ـ قوى هائلة واسلحة كثيرة ـ لديها ثروات مادية ، لها نفوذها المعنوي والفكري لها قرابتها وابناؤها في اجهزة السلطة وهناك اخطاء الثورة ونواقص عملها وهناك الاستعمار العالمي .. هذه الاسلحة تمنح الرجعية نفسا طويلا في المقاومة وتتيح لها الامكانات لاستجماع قواها وخوض المعارك ضد الجماهير الشعبية على طريق التخريب وعرقلة التحويل الاشتراكي تارة وعن طريق حبك المؤمرات تارة اخرى ، ولهذا فان المعركة ضد الرجعية لا تحتاج الى شجاعة اقتحامية بقدر احتياجها الى شجاعة واعية دؤوبة منظمة »(1) .

(1) المنطلقات النظرية ص ٧٧ ـ ٧٩ .

(1) المنطلقات النظرية ص ٥١ .

هذا من جهة ومن جهة اخرى تعتبر المنطلقات النظرية بان البرجوازية الصغيرة والعقليات الاصلاحية والطفيلة الانتهازية والبيروقراطية وغيرها من المظاهر السلبية هي الخطر الكبير الذي يهدد الحزب الثوري وجماهيره الكادحة في وضع الصعوبات والعراقيل امام عملية التحويل الاشتراكي وذلك لان هذه العقليات تمتاز بمواقف غير مستقرة ومشبعة «بالتناقضات والتردد ازاء الاشتراكية (تارة حب حار) (وطورا خيانة سافلة) ، تمنح الاصلاحات بيد وتسترجعها بيد اخرى وتقضي عليها كليا وتستغلها من اجل اضعاف الكادحين ونشر الفساد والبرجوازي في صفوفهم . وتستغل مصالح الكادحين الجذرية وتضحي بهذه المصالح من اجل منافع وقتية .

جاء في المنطلقات النظرية : في ظروف الانتقال الى الاشتراكية شهدت معظم التجارب الاشتراكية الثورية ظاهرة سلبية خطيرة في مرحلة راسمالية الدولة ، وهذه الظاهرة هي نشوء طبقة جديدة من البيروقراطية ، وقد استفحل خطرها وتفاقم في عدد من البلدان الاشتراكية واصبحت عقبة امام تطوير الديمقراطية ، وشوهت التطور الطبيعي للعلاقات الاشتراكية في المجتمع واصبحت تشكل قوة خاصة اخذت مكانها فوق المنتجين المباشرين بشكل خاص وفوق جماهير الشعب بشكل عام »(1) .

ان المنطلقات النظرية اذ تبين هذه المعوقات فانها مما لاشك فيه تنبه وتحذر وتضع الدليل الثوري امام المناضلين الثوريين لحل

(1) المنطلقات النظرية ص ٥٨ .

مثل هذه المعضلات التي يواجهها الحزب « ان حل التناقضات في حزبنا لايمكن الا ان يكون على طريق التفاعل الايجابي والتصحيح المتبادل ويستهدف توحيد الطاقات فيه والدفع به الى الامام .

ان اسلوب الصراع مع اعداء الحزب واعداء الجماهير لايمكن ان يكون هو الاسلوب نفسه لحل بعض التناقضات التي ينقلها الوسط المتخلف الى داخل الحزب ، ان اهمال التفريق بين هذين الاسلوبين لا يكون الا خيانة لحزبنا ولمهمته التاريخية . وهو انزلاق الى مستنقع السياسة الاحترافية ، والبهلوانية المغامرة . ان على حزبنا ان يحذر هذه الانتهازية المخربة وان يقف امامها بحزم لانها لعبة والقاء بالشرارة الى الهشيم(١) .

والخلود لرسالتنا

* * *

(١) المنطلقات النظرية ص ٥٨ .

(١) المنطلقات النظرية ص ١٨ .

دراسات تنظيمية

الاعلام الحزبي ..

صيغته - خصائصه - مراميه ..

يعد الاعلام بمكوناته من دعاية وتحريض بمثابة الرئة التي يتنفس منها النشاط الايديولوجي لحزبنا الذي اختط لنفسه اعلاما يرقى الى مستوى استراتيجيته السياسية الطموحة ، التي تشكل بحق مركز استقطاب للجماهير العربية الكادحة التواقة للوحدة والحرية والاشتراكية .

فالاعلام الهادف والملتزم بوصفه وسيلة للاخبار عن ظاهرة او حدث سياسي او اقتصادي معين ، يغني النشاط الايديولوجي للحزب ، ويعزز من دور ومكانة القيادة الحزبية ، التي تعني بالضرورة القيادة السياسية للجماهير .

والاعلام على انواع منه السياسي والاقتصادي والتقني والديموغرافي ، غير ان الاعلام الحزبي هو الاهم ، لانه بمثابة القلب من الجسد . فهو يعني بنشر وتعميم النظرية النضالية لحزبنا في اوساط المواطنين العرب ، وبرصد سائر المتغيرات الاقتصادية والسياسية التي تفرزها الحياة باستمرار .

ان **الاعلام الحزبي** بمعطياته الكمية والنوعية ، يساهم في تفسير وتحليل الحقائق الموضوعية ، والظواهر التي تحكم مسار التحولات الاقتصادية والاجتماعية ببعدها القومي الاشتراكي ، وبذلك يغني معارف ومعلومات الرفاق الحزبيين والتي من شانها تطوير وعيهم وثقافتهم وسلوكيتهم الحزبية ، كما وان دوره يتسع ليشمل سبر الراي العام لمعرفة موقفه من القرارات السياسية والاقتصادية التي يصدرها الحزب ممثلا بسلطته الثورية . والاعلام الحزبي من خلال تعمقه بدراسة الواقع وتحليله ، **يوفر لقيادة الحزب امكانات رصد اتجاهات التطور الاجتماعي ، وما يتطلبه من حلول وقرارات ثورية.**

هذا وتتوقف فعالية الاعلام بشقيه الحزبي والحكومي ، على توافر وتنوع المعلومات والمعطيات وسرعة تدفقها بين القواعد والقيادات وبالعكس . فالحزب ككائن سياسي حي ، تشكل المعلومات زاده اليومي ، فهي تحقق التواصل بين قواعد الحزب وقياداته المتسلسلة ، بدءا من القيادة القومية مرورا بالقيادات القطرية والفروع والمنظمات ، حتى اصغر خلية بالحزب . والاعلام الحزبي يحقق تواصلا ولحمة بين الحزب والجماهير ، حيث تهرع مؤسساته المتسلسلة ، بشرح اهداف ومعتقدات الحزب وتوضح مواقفه النضالية ازاء الاهداف المستجدة ، لتؤمن التفاف الجماهير حول حزبها ، وتبنيها لسياسته المبدئية .

ان مصادر الاعلام الحزبي متنوعة ومتشعبة ، اذ يستقي المعلومات والمعطيات من خلال عدة مصادر تتجلى بالمصادر المباشرة والمصادر غير المباشرة .

اما المصادر المباشرة فتندرج فيها كل من :

ـ **الرقابة الحزبية المباشرة من القيادات الاعلى على القيادات الادنى .**

ـ **الحوار المفتوح والمباشر مع جماهير الحزب .**

ـ **الانطباعات التي تكونها قيادات الحزب من خلال لقاءاتها الدورية مع قواعد الحزب وجماهيره .**

ـ **اللقاءات الدورية بين قيادة الحزب وامناء الفروع والمحافظين .**

فالمصادر الاعلامية المباشرة على غاية من الاهمية ، لانها توفر معلومات ومعطيات اولية يمكن تحليلها والتحقق من دقتها وصحتها ، وفي ضوء ذلك تتخذ القرارات الحزبية اللازمة لحل المشاكل التي تعاني منها الجماهير من ناحية واتخاذ القرارات التنظيمية التي تتعلق بحياة الحزب الداخلية من ناحية اخرى .

اما مصادر الاعلام غير المباشرة فتشمل :

ـ **محاضر الجلسات الحزبية .**

ـ **المذكرات التي ترفعها القيادات الادنى الى القيادات الاعلى.**

ـ **التقارير الدورية لمجالس الشعب الحزبية والفروع والمنظمات الحزبية .**

ـ **البحوث والدراسات التي تتعلق بالقضايا التنظيمية او السياسية او الاقتصادية .**

ـ **الاعتراضات والعرائض التي يرفعها الحزبيون والمواطنون على طريق التسلسل الى القيادة الاعلى .**

فالمصادر غير المباشرة للاعلام الحزبي ، تتسم بالشمولية وبالمنهج التحليلي وهي تتمحور عادة حول مسائل البناء الحزبي ، اذ من خلال تفريغ محاضر الجلسات والتقارير والمذكرات ، او من خلال الاطلاع على الاعتراضات ، يمكن للقيادة الاعلى ان تطلع على القضايا التي تستولي على اهتمام الرفاق في فرع او مؤسسة حزبية ما . وفي ضوء ذلك تعطى التوجيهات اللازمة للقيادة الادنى . كما

وان البحوث والدراسات المتخصصة ، سيما تلك التي تنصب على الجوانب التنظيمية في الحزب ، فانها اذا ما اعدت من قبل مختصين يمتلكون تجربة وخبرة نضالية ودراية واسعة اطلاع علمي ، في هذا الحال يمكن ان تشكل مثل هذه البحوث ارضية جيدة لاتخاذ القرار الحزبي المناسب .

وفي جميع الحالات كان الاعلام الحزبي وبالتالي ممارسة النشاط الايديولوجي للحزب يتوقف على توفر المعلومات سواء كانت مباشرة او غير مباشرة ، ولا يجوز اغفال احدهما ، ولكن قد تتطلب طبيعة موضوع مجال البحث التركيز على احدهما دون الاخر . فالمعلومات والمعطيات الحزبية وسرعة تدفقها يتيح الفرص للكشف عن الاخطاء قبل وقوعها واستفحالها ، واتخاذ القرارات الحزبية في حينها وقبل فوات الاوان . وهذا ما اكده الرفيق الامين العام للحزب المناضل حافظ الاسد في اكثر من مناسبة .. « ان كشف الخطأ يشكل الخطوة الاولى لاصلاحه » (١) .

كذلك تساهم عملية تتبع تنفيذ قرارات وتوصيات مؤتمرات الحزب وقيادته في توفير المعلومات التي تتصل بالبناء الحزبي ، والتوقف على الصعوبات والمعوقات التي تعترض مسار ترجمة قرارات الحزب على ارض الواقع . فالمتابعة للخطط والقرارات الحزبية ، توفر معلومات قيمة للقيادة الاعلى التي تتخذ بدورها الاجراءات الكفيلة بتذليل الصعوبات التي تحول دون تنفيذ توجيهات الحزب .

وبالطبع فإن عملية فرز وتبويب وتصنيف المعلومات الحزبية الى ماهو اساسي وثانوي تسهل من عمل ونشاط القيادة الحزبية ، ومن صناعة القرار الحزبي الملائم . كما وان غزارة المعلومات تكشف

(١) ـ خطاب الرفيق الامين العام للحزب في الجلسة الافتتاحية لمجلس الشعب في١٨ / ٨ / ١٩٧٧ .

عن حالة وافاق تطور الظواهر الاقتصادية والسياسية والثقافية ، وعلى هذا الاساس يجري ترسيخ الايجابيات وتلافي السلبيات وهذا يعني وبالضرورة بأن الاعلام الحزبي لايوفر اركان القرار الحزبي فحسب ، وانما يساعد في كشف افاق المستقبل والتنبؤ لمرامي النشاط الفكري والنضالي للحزب .

جوهر الاعلام الحزبي :

ان جوهر ومحتوى الاعلام الحزبي خاصة والرسمي عامة ، يتطابق والمحتوى الفكري والتنظيمي والسياسي للحزب الثوري ، الامر الذي يعني بأن ماهية وجوهر الاعلام الحزبي تتحدد في ضوء الاهداف والمهام التي يطرحها الحزب في مرحلة من المراحل ، ففي الوقت الراهن تتجه فعاليات الاعلام الحزبي بالاضافة الى المسائل التنظيمية والفكرية ـ تتجه ـ لكشف مرامي المخططات الصهيونية والامبريالية التي تستهدف وجودنا كعرب ، كما تركز وسائل الاعلام على ضرورات تحقيق التوازن الاستراتيجي مع العدو الصهيوني، وانجاز مهام البناء والتحرير فضلا عن حفز الجماهير واثارة حماسها من اجل زيادة الانتاج كما ونوعا ، سيما في مجال التنمية الزراعية التي لخصتها الخطة الخمسية السادسة بالاولوية ، وذلك لمواجهة « **فجوة الغذاء** » وتحقيق فائض للتصدير من الحاصلات الزراعية والمنتجات الغذائية . كما تتجه جهود الاعلام الحزبي والرسمي الى قضايا تطوير التربية والتعليم وربط العلم بالانتاج لمواكبة الثورة العلمية التكنولوجية والاستفادة من منجزاتها في بناء مجتمع التقدم والاشتراكية .

وبهذا يمكن حصر مهام الاعلام الحزبي في ثلاثة اتجاهات

اولهما : البناء الحزبي ومايتصل بهمن قضايا فكرية وتنظيمية

ثانيهما : تعبئة قواعد الحزب وجماهيره للالتفاف حول الحزب والقيادة التاريخية للرفيق المناضل حافظ الاسد .

ثالثهما : توضيح وشرح مواقف الحزب من مجمل القضايا السياسية على الصعد العربية والدولية .

واعلامنا الحزبي بهذا الدور يلتقي والاعلام الرسمي الذي يتحرك ضمن الاطر العامة التي يحددها له الحزب ، وان كان يتمتع ببعض الخصوصية والاستقلالية التي تفترضها حرفة الاعلام من صحافة واذاعة وتلفزة . والتي تنشط في عملها ضمن المجالات التي حددها المنهاج المرحلي لثورة الثامن من اذار في :

١ ـ شرح اهداف الثورة وتوضيحها وتفنيد الافكار والنظريات المعادية لقضية الشعب في التقدم .

٢ ـ نشر الوعي الاشتراكي والقومي والانساني في سورية .

٣ ـ كسب الراي العام القومي والعالمي لصالح قضايا العرب الوطنية والقومية وقضايا الشعب وتعزيز الحريات الاساسية للبشرية .

٤ ـ ربط المغتربين العرب في كل مكان بوطنهم الام وبقضاياهم الوطنية والقومية .

وحتى يتسنى للاعلام الرسمي اداء المهام والواجبات المناطة به ، اقدمت قيادة الحزب فور استلامها لقيادة الدولة والمجتمع في الثامن من اذار عام ١٩٦٣ ، على اصدار عدة مراسيم احلت بموجبها الملكية العامة لوسائل الاعلام محل الملكية الخاصة .

وهكذا يتكامل الاعلام الحزبي والرسمي في بث ونشر الوعي القومي الاشتراكي بين قواعد الحزب وجماهيره ، وقد اتسم في سياق الممارسة بعدة خصائص تتمثل بـ :

اولا : مواكبة الحدث : ويعني سرعة استجابة وسائل الاعلام وعدم تخلفها عن الحدث . فالسبق الاعلامي يمكن القيادة الحزبية

من التدخل في الوقت المناسب لمعالجة ظاهرة او مشكلة معينة ، اي يساعدها في الكشف عن الثغرات والسلبيات التي تعتري النشاط الفكري والتنظيمي بوقت مبكر . فالاعلام الذي يتخلف عن وقوع الحدث يفقد بريقه ودوره في توفير مستلزمات القرار الحزبي . فالتزامن الاعلامي مع الحدث يفترض غزارة وتدفق المعلومات باستمرار بين القواعد والقيادات الحزبية وبالعكس .

ثانيا : الموضوعية : الاعلام الموضوعي هو ذلك الذي يصور الواقع كما هو ويعبر عن الحقيقة كما هي دونما تضخيم او تعتيم او تبرير . فالاعلام الذي يجسد الحقيقة يمكن القيادة الحزبية من اتخاذ قرارات علمية وعملية في معالجة المشكلة المطروحة . وحزبنا اتسم بالعلمية والثورية ، لانه يناضل على الدوام من اجل الحقيقة وعدم القفز على الواقع ، ففي سياق ممارسته النضالية التزم الموضوعية وانطلق من الخصائص المحلية الملموسة في طرح اهدافه وقد امن حزبنا بان للاعلام رسالة اذ يعكس الحقيقة ويعبر عن هموم الجماهير وتطلعاتها ، وهذا ما اكدته المنطلقات النظرية للحزب حيث جاء « ان التزام الحقيقة هو عامل اساسي في ممارسة الديمقراطية الشعبية على نحو ثوري . ان الحقيقة ثورية واخلاقية في الوقت نفسه والتزامها هو وحده الذي يميز الثورية عن الانتهازية ، وهو الذي يميز الدعوة عن الدعاية وهو الذي يميز التقدمية عن الديماغوجية » .

بهذا المعنى فان حزبنا يعتمد اعلاما موضوعيا يمكنه من اداء رسالته ويحقق له الاتصال الوثيق بالجماهير ، والذي يعمل من خلاله على رفع مستواها العقلي والاخلاقي والاقتصادي والصحي، حتى تقوى على ممارسة حقها الوطني والقومي كاملا غير منقوص . وفي هذا الاتجاه اكد المعلم القائد حافظ الاسد على موضوعية الاعلام حين قال « لابد من التاكيد على اهمية الدور الموضوعي الذي يجب ان تقوم به الصحافة ووسائل الاعلام المختلفة في هذا الشأن . ومن

واجب وسائل الاعلام بشكل خاص ان تبحث عن الحقيقة ولاتسكت عن الخطا .. » (١)

وهكذا فان اعلامنا الحزبي عملا **بادبيات الحزب ومقولات القائد** ، يسعى على الدوام لابراز الحقيقة والالتزام بها ، لانها تشكل السلاح الامضى للتواصل بين الحزب وجماهيره . وموضوعية الاعلام الحزبي تضمن حق الرفيق والمواطن في ان يظل داخل نطاق العملية الاعلامية وليس خارجها ، اي يضع الحزب وجماهيره في خندق واحد .

ثالثا : شمولية الاعلام : وتعني معالجة القضايا التنظيمية والظواهر الاقتصادية والسياسية بكلياتها ، الامر الذي يعطي تصورا واضحا عن منطلقات الحزب ومواقفه النضالية فالاعلام الحزبي الهادف هو الاجدر على فرز ماهو اساسي وماهو ثانوي . فحين يريد الاعلام الحزبي مثلا توضيح مضامين الديمقراطية المركزية ، فانه لايعالجها بشكل مجرد بعيدا عن المؤثرات الاخرى الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والثقافية والسيكولوجية ، وكل منها يؤثر على ممارسة الديمقراطية المركزية باتجاهات متعاكسة السلبية منها والايجابية ، كما وانها تؤثر بدرجات متفاوتة على الية المركزية الديمقراطية وتطبيقاتها . ولهذا فان شمولية الاعلام تعني تناول الظواهر كليا وليس جزئيا .

رابعا : المنهج التحليلي : لايكتفي الاعلام الحزبي بوصف الظواهر والاحداث وانما يخضعها للتحليل والمناقشة بغية التوصل الى الاسباب الكامنة وراءها . فالاعلام الذي يقتصر على وصف وتعداد الحقائق دون التعمق في مكنوناتها ، يعتبر قاصرا ولا يفي بمتطلبات القيادة الحزبية . فالمنهج التحليلي هو الذي اتاح لحزبنا

(١) ـ الكلمة التاريخية للرفيق الامين العام بمناسبة الولاية الدستورية والذكرى الثانية والعشرين لثورة الثامن من اذار .

امكانية رصد وتحليل واقع المراحلة التاريخية لنضال الجماهير العربية ، التي ادركت بفضل طليعتها الثورية الشروط الموضوعية التي تحكم مسارها النضالي .

خامسا : العلمية والعملية : يتميز الاعلام الحزبي بوصفه نشاطا هادفا ملتزما بقضايا الجماهير ، بوضوح الرؤيا وصدق الانتماء ، وبالعقلانية والواقعية ، وبهذه الخصائص المميزة قدر للاعلام الحزبي وهو يسترشد بالنظرية النضالية لحزبنا من غرس المثل والقيم القومية الاشتراكية في نفوس الناس ، وجعل منها واقعا حيا ملموسا تعيشه الجماهير وتناضل من اجل تحقيقه . « ان المنطلق العلمي الذي يقوم على التحليل العلمي الموضوعي لظروف النضال ، وعلى التحليل الواقعي للاوضاع الملموسة التي مازال في تطور وتغير هو وحده الذي يتيح رفع الكفاءات الفكرية في صفوف الحزب ، وهو الذي ينفي جميع اشكال التفكير الذاتي كالارتجال والنظرة التقريبية والكل الفعلي والتفكير الوعظي وسائر النزعات المثالية في التفكير » (١) .

وهكذا فان اعلامنا الحزبي بخصائصه المميزه من مواكبة الحدث والموضوعية ، والتحليلية والعلمية ، اخذ ينهض بالمهام الملقاة على عاتقه في تجذير مبادىء الحزب ومنطلقاته بين قواعد الحزب ، وشرح المواقف النضالية للحزب بين صفوف الجماهير .

الدعاية والتحريض :

ان الدعاية والتحريض السياسي ، كاحدى مكونات الاعلام الحزبي ، وعبر صلتهما الحية بالفكر الثوري لحزبنا ، يعززان من الدور القيادي للحزب ، بوصفه قائدا ومربيا ومنظما للجماهير الكادحة .

(١) ـ دراسات تنظيمية ١٩٧٠ ـ ١٩٨٠ ص ١٧٤ .

والدعاية والتحريض يشكلان احد الاركان الاساسية للنشاط الايديولوجي للحزب ، فهما يرتكزان على اسس فكرية وفلسفية وسياسية واحدة ، تتجسد بالنظرية النضالية لحزب البعث العربي الاشتراكي ، ويصعب الفصل بينهما ، لان عناصر الدعاية تتداخل وتتشابك مع عناصر التحريض في نسيج متكامل يؤمن التواصل بين الحزب وجماهيره . ولكن بالرغم من الاسس التي تجمع بينهما ، فانهما يتمتعان ببعض الاستقلال النسبي سواء من حيث المادة ام من حيث درجة التأثير .

فالدعاية السياسية كنشاط هادف ، تعنى بالمسائل الفكرية والعقائدية كماتشكل مقومات الحزب الثوري مادتها والتي تتجلى ب:

١ ـ النظرية الثورية او الايديولوجية .

٢ ـ البنية الجماهيرية او القاعدة الشعبية .

٣ ـ النظرية التنظيمية .

ان الدعاية السياسية ،تهتم بنشر وتعميم ايديولوجية الحزب وتاريخه النضالي كذلك تهتم الدعاية الحزبية بدراسة قوانين التطور وتعاقب وارتقاء المجتمعات باتجاهاتها الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية ، وتساهم الدعاية الحزبية في رصد واقع وافاق التطور الاجتماعي المعاصر ، بالاضافة الى تناول الاقتصاد السياسي وسياسة الاقتصاد كمدخل لدراسة تجربة السلف بجوانبها الايجابية والسلبية ، اضف الى الاهتمام بتراث الحزب وتجربته في قيادة الدولة والمجتمع .

وحزبنا حين اناط بالدعاية السياسية مهام تسليط الضوء على نظريته الفكرية والتنظيمية انما يرمي من وراء ذلك الى ربط النشاط الايديولوجي بالحياة ، بغية تأمين التواصل وتعزيز الثقة بين الحزب وجماهيره ، وهذا ماقدمت عليه الحركة التصحيحية التي اعادت

للحزب طابعه الجماهيري ، عملا بالمنطلقات النظرية والتي ورد فيها بأن « الشعب منبع الحكمة ومصدر الثورة » (١) .

اما التحريض السياسي فيهتم بتوضيح مواقف الحزب من الاحداث المستجدة كما يبرز دور واهمية القرارات الحزبية والرسمية بالنسبة للجماهير ، اضف الى انه يسلط الضوء على الانجازات الاقتصادية والاجتماعية ، ويجيب عن تساؤلات المواطنين . فالتحريض الحزبي يتسم بالمرونة وسرعة الاستجابة في تفسير مواقف الحزب ، وتعبئة الراي العام حولها .

وبالطبع تشكل الثوابت والمتغيرات السياسية المضمون الحقيقي للتحريض الحزبي الذي يسلط الضوء على الحلقة الاساسية التي تحددها القيادة العليا للحزب اذ من المعروف ان المهمات التي تتصدى لها مؤسسات الحزب المتسلسلة متنوعة ، غير انها لاتتمتع باهمية واحدة ، فكل مرحلة من مراحل تطور المجتمع تفترض حل مهمة او مجموعة من المهام الاساسية ، التي يجب ان تتجه لتنفيذها جهود قواعد الحزب وقياداته بتوسيط اساليب الدعاية والتحريض الحزبيين . فكل مرحلة في حياة الحزب تتطلب صياغة اهداف ومهام تماشيها ،والتي تمليها التبدلات البنيوية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية كما تشترطها متطلبات التحويل الاشتراكي كتحقيق حركة التصنيع وتعميم التعاونيات الزراعية في الريف ، بالاضافة الى اعداد وتأهيل الكوادر المؤمنة بالفكر القومي الاشتراكي .

بدون شك ان انجاز مثل هذه الاهداف الكبيرة وغيرها يحتاج الى اعتماد اساليب دعائية وتحريضية رفيعة المستوى ، تقوى على اثارة الحماس والغيرية ، وعلى اجتذاب الجماهير نحو مواقع البذل والعطاء دونما حدود وغرس التضحية وحب الشهادة التي وصفها الامين العام « بقيمة القيم وذمة الذمم » في نفوس المواطنين.

---

(١) ـ بعض المنطلقات النظرية التي اقرها المؤتمر القومي السادس ـ ص٥٢

وهذا الامر يتأتى من خلال تعميق دور الاعلام الحزبي وربطه بالنشاط الايديولوجي والممارسة النضالية . ولكي تؤدي الدعاية والتحريض دورهما في هذا المجال ، فانهما يعتمدان اساليب وادوات متنوعة يمكن حصرها بالتالي :

اولا : الدعاية الشفوية وتقوم على :

ـ اللقاءات والندوات التنظيمية والسياسية التي تجريها قيادة الحزب مع القواعد والجماهير ، من اجل شد الجهاز الحزبي وتعبئة الراي العام بآخر الاحداث المستجدة .

ـ المحاضرات والحوارات الشعبية المفتوحة ، التي تنظمها مؤسسات الحزب واللجان الحكومية بين فترة واخرى . فالمحاضرات الحزبية اما تتناول مجالا واحدا او على عدة مجالات ذوات طابع تنظيمي وسياسي وثقافي واقتصادي .

ـ الاجتماعات الحزبية الدورية ، وتمثل اداة هامة في تحقيق الوحدة العضوية بين البنيتين التنظيمية والفكرية للحزب . فالاجتماع الحزبي ، يسلح الرفاق بالموقف الصائب ، ويعمق من انتمائهم الايديولوجي .

ثانيا : الدعاية الخطية وتتضمن كلا من :

ـ الدوريات من صحف ومجلات حزبية ورسمية .

ـ الدراسات والنشرات التي تصدرها مكاتب الحزب القومية والقطرية .

ـ النشرات والبيانات الحزبية .

ـ الاداب والفنون ، والتي تساهم في خلق ثقافة جمالية ملتزمة

ـ وسائل الايضاح من لوحات وخرائط تاريخية وجغرافية واشرطة سمعية وبصرية ، تساعد بدورها في نشر المعارف

والمعلومات السياسية والاقتصادية ، وبحولها الى معتقدات ودوافع للعمل .

ـ الفن التشكيلي والتربية الجمالية والنحت ، ويمساعدتها تتمكن الدعاية الحزبية من خلق انطباعات ثورية لدى الناس .

ـ الشعار ـ الملصقات ـ النصب التذكارية . والتي يتوقف تأثيرها الايديولوجي على مضمون الفكرة السياسية التي تجسدها . وعلى طريقة عرضها ، عبر الديكور والحجم واللون والاضاءة .

ـ وسائل الاعلام المرئي والمسموع . وتعتبر من اكثر ادوات الدعاية والتحريض السياسي شيوعا وانتشارا لانها دخلت كل بيت تقريبا ، فهي تؤمن تواصلا سريعا بين الحزب وجماهيره ، من خلال استخدام البرامج السياسية والثقافية الهادفة .

اما التحريض السياسي فيعتمد بعض الاساليب التي تتخذها الدعاية مادة لها بالاضافة الى تركيزه على الاحتفالات الجماهيرية والاحاديث الفردية والجماعية مستخدما في ذلك الامثلة الحسية الملموسة والحجة الدامغة ، بالاضافة الى العرض المبسط للوقائع والافكار السياسية والاقتصادية ، حتى تكون قريبة من وعي وفهم عموم الناس . وقد اكد الرفيق الامين العام للحزب المناضل حافظ الاسد ذلك حين قال «تريد الاعلام صلة واعية بين المؤسسات والجماهير تنقل آراء الشعب ومشاعره وتبسط سياسة الدولة للمواطنين »(1) .

وهكذا تتداخل عناصر واساليب الدعاية والتحريض مع بعضها بعضا ، بحيث تتكامل على المستوى الافقي والراسي في نشر وتعميم النظرية النضالية لحزبنا في ارجاء الوطن العربي .

---

(1) كلمة الرفيق الامين العام للحزب في افتتاح المؤتمر الرابع لاتحاد الصحفيين العرب في ٢٠ ـ ٧ ـ ١٩٧٤ .

ان الاعلام الحزبي بوسائله الخطية والشفوية يشكل رديفا للمسالة التثقيفية والتربوية لدى حزب البعث العربي الاشتراكي، والتي تهدف جميعها الى خلق قدرات فكرية ومعرفية ، تمكن من استيعاب وتمثل ايديولوجية الحزب ومنطلقاته . « ويقصد بهذا التثقيف كما جاء في المسالة التثقيفية » مجموع الممارسات التي يقوم بها الحزب كمنظمة من أجل توفير وحدة وعي داخل اطاراته لقضيته اي لايديولوجيته ولاستراتيجيته العامة ، وللمهام التي يتصدى لانجازها مرحليا وعلى المدى البعيد ، من اجل تطوير هذا الوعي والارتقاء به باستمرار »(١) فالخطة الثقافية في حزبنا تطبق بموجب نظامين على الرفاق الانصار والعاملين،الذين يخضعون لدورات فرعية ومركزية ، يجري التركيز فيها على اركان البناء الحزبي ، بالاضافة الى الشؤون الاقتصادية والسياسية وفي كل الاحوال ، فان التثقيف الحزبي لا يعني الاهتمام بالثقافة العامة فحسب وانما يعني في جوهره استيعاب الثقافة المنبثقة عن فكر الحزب ومنطلقاته وتاريخه النضالي .

من سياق ماورد يتضح لنا بالرغم من الخصائص المميزة لكل من الدعاية والتحريض السياسي ؛ فانهما في المحصلة يلتقيان في نفس الهدف الرامي الى تكريس فكر ومعتقدات الحزب ومواقفه النضالية من خلال مايلي :

اولا ـ بلورة الوعي الثوري بين قواعد الحزب ، وتأمين التطابق بين وعي الحزب ووعي الجماهير ، وذلك بتحويل الوعي الطبيعي والعفوي للجماهير بالانتماء الى الامة العربية الى وعي ثوري على طريق ربطه بايديولوجية حزب البعث العربي الاشتراكي.

ثانيا ـ توظيف وسائل الاعلام الحزبي والرسمي في خدمة الرقابة الحزبية والشعبية والتي تمثل احد اهم اركان القيادة

(١) ـ المسالة التثقيفية ص ٩ .

الحزبية للثورة والدولة . فالرقابة الحزبية تؤمن الصلة العضوية بين القرار الحزبي وبين ترجمته على ارض الواقع اذ من خلالها تكتشف امكانات التنفيذ ، وتتحدد الصعوبات والمعوقات التي تحول دون تنفيذ هذا القرار او ذاك. كما تتيح الرقابة الحزبية والشعبية للقيادات الاعلى ، التحقق من مدى تقيد المؤسسات الحزبية الادنى بتنفيذ القرارات الحزبية ، وتسجل حالات التقصير المقصودة وغير المقصودة ان وجدت كما يمكن لقواعد الحزب ان تمارس هذا الدور سواء من خلال الاجتماعات الحزبية الدورية او من خلال الاجتماعات النصف سنوية او السنوية على مستوى الفروع ، او على مستوى المؤتمرات القطرية والقومية . وبذلك تتجلى اروع صور ممارسة الديمقراطية في حزبنا .

لقد اولى حزبنا الرقابة الحزبية والشعبية اهمية خاصة ، نظرا للدور الذي تلعبه في توفير المعلومات والمعطيات المتصلة بعمل ونشاط مؤسسات الحزب ومنظماته من جهة وفي تتبع ومراقبة تنفيذ خطط الحزب وقرارات وتوصيات مؤتمراته من جهة . ومن هذا المنطلق اقر المؤتمر القطري السابع هيئة قطرية مرتبطة مباشرة بالرفيق الامين العام للحزب سميت « لجنة الرقابة والتفتيش الحزبي » والتي تتولى المهام التالية : (١) .

١ ـ خدمة الاطر الحزبية قواعد وقيادات ، وضمان انالاداء يتم وينفذ وفق القرارات والخطط الموضوعة .

٢ ـ التحقق من مدى انجاز الاهداف المتبناة في الوقت المناسب وبالشروط والاسس الناظمة لها ، والكشف عن المعوقات ايا كانت وتذليلها .

٣ ـ اقتراح الحلول الملائمة لمعالجة الثغرات والاخطاء

(١) بعض المنطلقات النظرية التي اقرها المؤتمر القومي السادس ص ٦٢

وايقاف تراكمها حرصا على سلامة الانجاز ، وحماية للاطر من الانزلاق في الخطا والاستمرار فيه .

بهذه المهام وغيرها فان الاعلام الحزبي حين يشدد على دور الرقابة والمحاسبة انما يهدف الى تحصين الرفاق ووقايتهم من الانزلاق في السلبيات في سياق ممارستهم النضالية ، حيث ان الكوادر القيادية تتفاوت في قدراتها ومؤهلاتها ودرجة وعيها وحسن تصرفها ، فبعضهم يخفق وبعضهم يصيب في تنفيذ المهام الملقاة على عاتقهم ، مما ينعكس سلبا وايجابا على مجمل البناء الحزبي، وقد نبهت المنطلقات النظرية للحزب في وقت مبكر لهذه الناحية ، اذ جاء فيها « ان الطلائع الثورية والسلطة الثورية مطالبة عمليا ، بان تكشف جوانب الضعف في التطور وان تبين الصعوبات والعقبات التي تواجه البناء الاشتراكي سواء على طريق الجهل او الانتهاز او الاهمال او التخريب » (١) فالرقابة الحزبية حين تكشف عن الظواهر **المرضية التي** تصيب الكيان الحزبي ، انما توفر بذلك للقيادة الاعلى المستلزمات الضرورية لاتخاذ الاجراءات والتدابير الكفيلة باجتثاثها وتلافيها .

ثالثا ــ القيادة الحزبية للاعلام : ان القيادة والتنظيم الراقي لفعاليات الاعلام الحزبي والرسمي ، تجعل منه اعلاما ثوريا ، يستوعب قواعد الحزب وجماهيره في اطاره ، ولا يتركهم عرضة للنهب الاعلامي الرجعي والامبريالي . ومن اجل الارتقاء بمستوى قيادة وتنظيم الاعلام الحزبي والرسمي لا بد من توافر شرطين : اولهما ــ اخذ الظروف الموضوعية والذاتية في الحسبان ، لتتمكن المؤسسات الحزبية والمنظمات الجماهيرية ، من تكريس الثوابت السياسية من ناحية والتعامل بمرونة وانفتاح مع المتغيرات التي تفرزها باستمرار مراحل التطور الاقتصادي والاجتماعي .

(١) بعض المنطلقات النظرية التي اقرها المؤتمر القومي السادس ص ٦٢ .

وثانيهما ــ مراعاة الخصائص الوطنية والقومية ، واخذ الية قوانين التطور بعين الاعتبار ، حتى يتسنى للمؤسسات الاعلامية من ممارسة دورها في تعزيز مبدا العلمية والثورية ،الذي يفترض من جانبه التعامل بروح عالية من المسؤولية وبذل المزيد من الصبر والجهد في معاملة الجماهير . وهذا ما ركزت عليه تعاليم البعث والتي ورد فيها « ان اي تعال على الجماهير ومخاطبتها بلهجة فوقية ومن منطق القوة والتسلط يدمر علاقة الحزب بالجماهير ، ويضعها موضع التناقض والعداء معه » (١) .

ومن هذا المنطلق فان حزبنا في سياسته الاعلامية اعتمد مصارحة الجماهير بالحقيقة ، وفي ذلك يكمن سر نجاح الحزب وتغلغله في اوساطها ، فالحزب يستبعد من سياسته الاعلامية والدعائية اساليب التضليل والخداع والمداورة والتعالي . ويتمسك بعلاقة مبدئية مع الجماهير قوامها المصداقية ولا يجد حرجا بالاعتراف بالخطا فيما اذا وقع به « ان الاعتراف بالتقصير في بعض الجوانب ، والخطا احيانا في بعض الجوانب الاخرى لا يعيب العمل الحزبي . انه مؤشر على التواضع امام الجماهير وتوفر حسن النية في العمل من اجلها . . . » (٢) .

فالقيادة الحزبية للنشاط الاعلامي ، تساهم في تحويل المعارف والمعلومات الفكرية الى معتقدات سياسية ، تفرز البنيان الحزبي. وقد توضحت لدى حزبنا ومنظماته الشعبية ، تقاليد اعلامية ، قوامها تنظيم الحملات الايديولوجية الهادفة ، ووضع الخطط والبرامج الاعلامية في المناسبات الوطنية والقومية . كذلك تقوم مكاتب الاعداد والاعلام على مستوى التنظيم القومي والقطري ، بوضع خطط ثقافية واعلامية ، تساهم في تطوير الوعي الفكري والتنظيمي للرفاق الحزبيين .

(١) ــ كراس تعاليم البعث ــ سلسلة الاعداد الحزبي ٢٣ ص ٤٨ .

(٢) ــ المرجع نفسه ص ٥٨ .

وحتى تحقق مؤسسات الاعلام الحزبي والرسمي النتائج المعلقة عليها في نشر الوعي القومي الاشتراكي بين الجماهير العربية يفترض ان توفر لها سائر المستلزمات المادية والتقنية ، كالقاعات والافلام ووسائل الاتصال الحديثة بالاضافة الى تصنيف وتبويب وارشفة المعلومات الحزبية ، فضلا عن توفير الكوادر الفنية والاعلامية المؤهلة والقادرة على استيعاب خصائص الاعلام ومتطلباته

مما ورد يتضح لنا بان ادبيات الحزب تركز على الدوام على مصداقية وموضوعية الاعلام الحزبي والرسمي ، لانه الاقرب الى وجدان الجماهير ، والاجدر في التعبير عن تطلعاتها وطموحاتها في بناء المجتمع العربي الاشتراكي الموحد .

(*) (*) (*)

تقارير

الجديد في الانتخابات البريطانية الأخيرة

الرفيق : فوزي الجودة

من الصعب البحث عن الصورة الواحدة ، وعن المنحى الغالب الواحد في الجغرافية السياسية الغربية ، ومن الصعب ايضا القول : أن الزمن هو لعودة اليمين القومي مثلا في كل مكان ، او لصعود نجم الوسط في سماء الغرب ، او ما شابه ذلك ، وليس الفارق هو بين الولايات المتحدة واوروبا الغربية الفاصل بينهما المحيط الشاسع ، بل هو ايضا بين الامم الاوروبية نفسها التي لا يقوم بينها غير نهر الراين ، او جبال الالب والبيرنيه في المدى الطبيعي ، والتاريخي الواحد ، وعلى الرغم من وحدة الايديولوجية السائدة في الغرب منذ نصف قرن ، وعلى الرغم من اندماج القوى الحربية في منطقة واحدة منذ زمن ، وعلى الرغم من انضواء دول القارة القديمة في الكيان الاوروبي الذي صار عمره الان ثلث قرن فما زال التركيب السياسي في كل دولة متمايزا في دنياه ، ومازالت الصورة الشعبية والبرلمانية كثيرة التباين من مكان لاخر يصعب معها التوقع ويستحيل التعميم .

لقد افرزت الانتخابات البريطانية وضعا سياسيا واقتصاديا جديدين لم تعهدهما الحياة السياسية البريطانية من قبل ، وتقويم هذا الوضع الجديد بحاجة الى دراسات مفصلة لجذور هذه التغييرات التي طرات على التركيبة الاجتماعية في بريطانيا قبل وصول السيدة تاتشر الى الحكم وخلال ثماني السنوات التي راست فيها الحكومة ، وهذا امر يستحق البحث .

فالحصيلة التي تمخضت عنها الانتخابات البريطانية كانت بمثابة مفاجاة لقادة الاحزاب السياسية .

فحزب المحافظين لم يكن يتوقع الفوز بمثل هذه الاغلبية حيث اعترف « نورمن تيبت » رئيس الحزب بعد ساعات من ظهور النتائج ان « هذه النتائج فاقت كل توقعاته ، وانه كان يامل في الاحتفاظ باغلبية اصوات لا تتعدى خمسين صوتا » .

اما « نيل كينوك » زعيم حزب العمال والذي اجمع المراقبون وخصومه على حد سواء انه خاض حملة انتخابية ناجحة ، فانه لم يكن يتوقع هو الاخر ان تذهب كل الجهود التي بذلها سدى ، وان تكون حصيلة هذا الضجيج الاعلامي الذي رافق الحملة الانتخابية اثنين وعشرين مقعدا اضافيا في البرلمان .

لقد عاشت بريطانيا في الحادي عشر من حزيران ١٩٨٧ يوما من التاريخ بكل ما في هذه الكلمة من معان ، وابعاد ، ففي هذا اليوم جرت الانتخابات ، وكانت الاعنف والاكثر تنافسا بين « المحافظين » الحاكمين ، وبين المعارضين من عمال ، واحرار ، واشتراكيين ديمقراطيين ، هذا اليوم سبقته ايام محمومة ، ولابد ان تليه ايام محمومة ايضا ، اذا ما اعتبرنا ان الانتخابات لاتنتهي بنتائجها!

لوردات وعامة :

يتكون مجلس العموم البريطاني من مجلسين هما : مجلس العموم ، ومجلس اللوردات ، ومجلس العموم هو الذي يطلق عليه اسم البرلمان احيانا على الرغم من ان كلمة البرلمان تعني في الواقع المجلسين معا وكل قانون يقره مجلس العموم « اي مجلس العامة » يحول اي مجلس اللوردات لاقراره ، ولكنه لا يصبح نافذ المفعول الا بعد موافقة الملكة عليه ، وللملكة حق رفض اي قانون ، واعادته مرة اخرى للمناقشة ، ولكن لم يحدث ذلك منذ عام ١٧٠٧ م اية عملية رفض من هذا

النوع ، الا ان الملكة تحتفظ بسلطات اسمية وشكلية وتتحاشى التدخل في المسائل السياسية ، ومجلس العموم هو المجلس المنتخب والذي تجري بشانه الانتخابات كل خمسة اعوام ، ومنذ عام ١٩٤٥ عرفت بريطانيا /١٢/ حكومة كان /٦/ منها للمحافظين و /٦/ للعمال ، اما مجلس اللوردات فهو مجلس غير منتخب ، ووصل عدد اعضائه الى /١١٦٢/ (عدد اعضاء مجلس العموم ٦٥٠) الا انهم لايحضرون جميعا كل جلساته .

واللوردات الذين يتكون منهم المجلس يمكن تقسيمهم الى ٣ فئات هم رجال الدين ، ورجال القضاء ، وفئة اللوردات الزمنيين ، ورجال الدين الذين يطلق عليهم اللوردات الروحيين هم : كبير اساقفة كانتربري وهو رئيس الكنيسة الانجيلية الانكليزية ، وكبير اساقفة يورك ، واساقفة لندن ودورهم ووينشستر و /٢١/ من كبار اساقفة انكلترا .

اما رجال القضاء فيطلق عليهم اسم لوردات القانون ، وتضم رؤساء محاكم الاستئناف وما يعلوها .

والفئة الاخيرة هم اللوردات الزمنيون وتضم طبقة النبلاء الذين توارثوا اللقب من اسلافهم والاشخاص الذين حصلوا على اللقب تقديرا للخدمات التي ادوها للمجتمع ، وتضم هذه المجموعة العديد من الشخصيات العامة في الفن والادب والسياسة ، مثل الممثل المسرحي المشهور « لورنس اوليفييه » الذي يحمل لقب لورد اوف برايتون ، ولورد كارادون صاحب القرار رقم /٢٤٢/ الشهير ، وهو شقيق مايكل فوت زعيم حزب العمال السابق .

النظام الانتخابي البريطاني :

لاتختلف الانتخابات البريطانية لمجلس العموم كثيرا عن اغلب الانتخابات في اوروبا الغربية ، فالصراع فيها : هو حول الحصول على الاغلبية ، وليس من الضروري ان تكون هذه الاغلبية هي الاغلبية المطلقة التي يعبر عنها ب ٥١٪ ، فالحزب الذي يحكم هو الذي يحصل على اكبر عدد من المقاعد تشكل له اعلى نسبة . فحكومة المحافظين قبل الحالية حكمت باغلبية ٤٢٫٤٪ من الاصوات ، وحققت لهم ٣٩٧ مقعدا في البرلمان ، بينما حصل حزب العمال في الانتخابات التي اجريت عام ١٩٨٢ على ٢٠٩ مقعدا نتيجة حصوله على نسبة ٢٧٫٦٪ من الاصوات، وعلى الرغم من ان حزبي التحالف هما : حزب الاحرار والحزب الديمقراطي الاشتراكي حصلا مجتمعين على نسبة ٢٥٫٤٪ من اصوات الناخبين الا ان عدد مقاعدهما مجتمعين وصل الى ٢٣ مقعدا فقط .

هذا التناقض بين نسبة الاصوات ، وعدد المقاعد هو احد المشكلات الاساسية في الانتخابات ، ولكنه ليس احد الموضوعات المطروحة في الحملات الانتخابية ، التحالف هو وحده الذي اثار هذه المشكلة في برنامجه الانتخابي ، وطرح حلا لها هو اعتماد نظام التمثيل النسبي ، اي ان يحصل كل حزب على عدد من المقاعد يوازي نسبة الاصوات التي حصل عليها ، الا انه ليس من المتوقع ان ينجح في دعوته هذه عند طرحها في البرلمان مستقبلا .

من يحق له التصويت ؟

الذين لهم حق التصويت في الانتخابات البريطانية هم مواليد بريطانيا : الانكليز ، والاسكتلنديون ، وسكان ويلز ، وايرلندا الشمالية ، وكذلك فان رعايا دول الكومنويلث يحق لهم التصويت بشرط ان يكونوا مقيمين في بريطانيا ، كذلك هو الامر بالنسبة لرعايا الجمهورية الايرلندية المقيمين في بريطانيا ، وسن التصويت هو /١٨/ سنة للذكر والانثى ، اما الاشخاص الذين ليس لهم حق التصويت هم الاسرة المالكة ، واعضاء مجلس اللوردات ، واعضاء القوات المسلحة اثناء الخدمة ، والمرضى المعاقون او الذين تحت العلاج في مستشفيات الامراض العقلية ، والمساجين المحكوم عليهم في قضايا الفساد ، او في قضايا متعلقة بالانتخابات في مدة خمس السنوات التي تسبق آخر الانتخابات .

تمويل الاحزاب في بريطانيا :

ان ما يلزم الاحزاب السياسية المتنافسة على اصوات الناخبين هو التمويل ، خاصة في عصر الاتصال السريع ، والاعلام المكثف .

ففي بريطانيا تختلف مصادر تمويل الاحزاب بين حزب واخر ، ولكنها تتفق في مجملها في انها تبرعات من جهات وافراد تجتمع مع الحزب في الراي ، وترى في فوزه نجاحا شخصيا لها ، وتسهيلا لمهمتها .

فعلى سبيل المثال ، لا الحصر : ان اكبر المتبرعين لـ « حزب العمال » هي نقابات العمال التي يمولها العمال باشتراكاتهم السنوية ، بينما تمول الاحزاب الاخرى ، وخصوصا المحافظين ، شركات ، ومصارف ، وافراد من كبار رجال الاعمال ، وكبار المهنيين .

واذا اخذنا حزب المحافظين كمثال نجد ان لائحة المتبرعين تتضمن اكبر الشركات البريطانية مثل شركة « بريطانيا والكومنويلث للشحن البحري » « ٧٤ الف جنيه في العام الماضي » وشركة « هانسون » « ٥٠ الف جنيه » وترست

هاوس فورتي « ٢٠ الف جنيه » و « ترافلغار هاوس » « ٤٠ الف جنيه » و « تيلور وودرو » « ٢٥ الف جنيه » ، واللائحة طويلة ، وارقامها تعود الى العام الماضي ، وهي ارقام تضخمت كثيرا في العام الجاري ، وخصوصا خلال حملة الانتخابات .

وبين القطاعات نجد ان مؤيدي المحافظين هم اساسا من مالكي المصارف والشركات ، وشركات التامين والاستثمار ، والعقارات .

وقد نجحت نقابات العمال في جمع اكثر من تسعة ملايين جنيه استرليني في العام الماضي للعمال .

موسم حافل بالمفاجآت :

وفي ايام الانتخابات خاصة في دولة كبريطانيا ، تعيش اجهزة الاعلام اياما حامية ، وينتشر الصحفيون والاعلاميون بين مراكز الانتخابات ، يرصدون حركة ونبض الناخبين في الدوائر الانتخابية ، ويظل الناس سعداء ببرنامج طويل بفصوله السياسية الجادة ، وبفقرات تسلية تؤدي الى انحباس انفاس الساسة المرشحين للانتخابات ، وتمتلئ اجواء المدن والقرى باصوات القيادات التي تكون مزيجا من البرامج السياسية الجادة ، والفصول الدعائية المشحونة بالوعود .

ان الانتخابات العامة في بريطانيا موسم رائج لتجارة استقصاء اتجاهات الراي العام ، ففي كل يوم تصدر الصحف البريطانية الرئيسية تحمل نتائج استفتاء الراي العام ، كل صحيفة باستفتاءاتها الخاصة بها ، واللتي يقوم باجراء تلك الابحاث معاهد متخصصة مثل معهد « جالوب » ومعهد « موري » ، ومعاهد اخرى تنشر من قراءتها ، وتغرق المؤسسات الاعلامية بسيل لا يتوقف من نماذج الاستفتاءات ، حتى اعلان نتائج الانتخابات النهائية .

ومع تعدد تلك الاستفتاءات الا ان نتائجها التي اعلن عن العشرات منها قبيل الانتخابات كانت متقاربة بدرجة كبيرة جدا ، وهو دليل على دقتها وصلاحية منهجها العلمي .

سر تاتشر ؟

كسبت السيدة تاتشر رهانها وانتصرت في معركتها ، وجددت للمرة الثالثة مهمتها ، وهي التي اتت الى الحكم عام ١٩٧٩ ستبقى فيه ، اذا سار كل شيء على مايرام ـ الى عام ١٩٩١ وهي تستطيع القول منذ الان ، انها اول رئيس حكومة بريطانية في القرن العشرين يعود ثلاثا الى « داونينغ ستريت » .

لكن ما سر مارغريت تاتشر . ؟

يقول مؤيدوها انها اعادت الى بريطانيا « ثقتها بنفسها » ان كان اقتصاديا باطلاقها المبادرة « الذاتية » ، او عسكريا بخوض معركة فوكلاند ، « وكسبها » وانها اعطت للزعامة البريطانية حضورا دوليا لم يكن لها من زمان .

ويقول الناظرون بحذر اليها ان سرها ليس فيها ، بل في ضعف خصومها وان حزب العمال البريطاني ، وان جدد صورته وحسنها في المعركة الانتخابية ، فهو مرة اخرى قدم للسيدة تاتشر الانتصار على طبق من فضة ، فعندما يصر العمال على نزع السلاح النووي البريطاني من جانب واحد « لو انتصروا » وقد وضعت تاتشر اصبعها على هذا الجرح فركزت عليه وتساءلت حول جدوى ارسال الجنود البريطانيين الى القتال الا لم يكن من مظلة نووية فوقهم ، وقالت انه لن يبقى قائد عسكري بريطاني ، الا وسيقدم استقالته اذا نجح حزب العمال (قالت هذا الكلام قبل اجراء الانتخابات) .

حزب العمال يطرح :

مع ان حزب العمال سقط في الامتحان الاخير فان ذلك لا يعني بنظر المراقبين انه سائر نحو التفتت والانقسام بل ان سياسة « كينوك » المرت خلال السنوات الماضية ، انه استطاع توحيد قوى الحزب الداخلية كبداية للانطلاق في سباق مع المحافظين ، ولكن المحافظين ، ناجلوا العمال بضربة وقائية منعتهم من التوجه الى الناس والظهور بمظهر الحزب الواحد الذي يملك برنامجا شاملا للاصلاح في بريطانيا ، وان صفة التردد قد تلاشت من الحزب وحسب الاحصاءات التي خرجت بها الانتخابات ، فان العمال حققوا تقدما لا بأس به ، ويعود السبب في ذلك الى طرحهم سياسة خارجية غير تابعة مئة بالمئة للولايات المتحدة ، بل طرح العمال شيئا من الاستقلالية في اتخاذ القرار ، وقد ابدوا بقوة مسألة اغلاق القواعد الامركية على الاراضي البريطانية ، والدخول في مفاوضات مع السوفييات لازالة الصواريخ النووية من اوروبا ، وعلى المستوى الداخلي طرح العمال خطة خمسية لوقف التدهور الصناعي ، فيما كانت تاتشر وحزبها المحافظ يطرحان مزيدا من المبادرات الفردية في الاقتصاد ، وطرح الصناعات الحكومية لمساهمة الافراد والجماعات ، والتمسك بالتحالف الوثيق مع واشنطن في مجال السياسة الدفاعية والخارجية .

انتصار السيدة .. وانقسام المملكة :

اعاد البريطانيون انتخاب مارغريت تاتشر لولاية ثالثة تنتهي عام ١٩٩٢

باكثرية مئة مقعد وواحد ، وان كان ما حصلت عليه في الانتخابات الاخيرة هو اقل مما جنته في انتخابات عام ١٩٨٣ بـ ٤٢ صوتا ، الا انه اكبر بكثير من نسبتها عام ١٩٧٩ ، حيث وصلت الى الحكم ، وعندها في مجلس العموم المليبة لا تتجاوز ٤٤ نائبا ، ولقد تحولت تاتشر الى ظاهرة سياسية غيرت ملامح الحياة البريطانية فهي ثاني رئيس حكومة ينتخب ثلاث مرات متتالية منذ ١٦٠ عاما .

ماهي ظاهرة تاتشر ؟ كيف وصلت الى الحكم عام ١٩٧٩ ؟ لماذا اعيد انتخاب حزبها ؟ ثم ماذا ينتظر بريطانيا حتى عام ١٩٩٢ ؟ .

نحاول الاجابة على هذه الاسئلة بعرض الاوضاع السياسية التي اوصلت مارغريت تاتشر الى الحكم ، والاسباب التي جعلتها تصبح ظاهرة لا شك في انها ستترك اثارها على الحياة السياسية البريطانية لسنوات طويلة مقبلة .

وعلى الرغم من ان ما رغريت تاتشر (بعد انطوني ايدن ١٩٥٥-١٩٥٧) اقل رؤساء الحكومة شعبية ، فهي تبدو سلطوية ، متعالية ، متكابرة ، لاتحسن في مخاطبة الناس ، وملامسة همومهم عندما يكون الحديث مثلا عن التأمين الصحي والاجتماعي الذي يعاني من ازمات مالية خانقة اخرت في علاج الاف المرضى او متى كان الحديث عن العاطلين عن العمل وعددهم ثلاثة ملايين ، او حتى عن المتقدمين في السن ، والمحالين الى التقاعد ، على الرغم من هذه الفجوة بينها وبين الناس ، فقد حققت انتصارا في الانتخابات واكبر نسبة من الاصوات نالها حزب المحافظين بلغت ١٣٤-٧٦٢-١٢ متخطية بذلك ما كان قد حققه « هارولد ماكميلان » عام ١٩٥٧ وهو ٨٧٥ ـ ٧٥٠ ـ ١٣ .

كيف وصلت تاتشر الى الحكم عام ١٩٧٩ ؟

كيف تحولت الى ظاهرة طبعت الحياة البريطانية بطابعها ؟ اسباب عديدة ساهمت في ايجاد ظاهرة تاتشر ، ليس اقلها التضعضع الداخلي ، والانهيار في « حزب العمال » الوحيد الذي كان بامكانه وضع حد لهذه الظاهرة ١٩٨٣ ولكنه لاسباب عديدة اخفق وربما كان السبب الاهم من جهة اخرى وهو الانجازات الاقتصادية والاجتماعية التي حققتها تاتشر من ١٩٧٩ الى ١٩٨٧ ، ولكن الشيء المهم والجدير ذكره الانقسام الطبقي الذي اوجدته ، وتمثل بين الجنوب الذي يعيش في « بحبوحة » وبين الشمال الذي يعاني من الفقر والبطالة ، ومن الركود الاقتصادي .

المملكة المنقسمة ..

ما لم تتمكن ما رغريت تاتشر من تنفيذه في ولايتها الاولى ـ١٩٧٩-١٩٨٣ ـ

الهيئة في الثانية – ١٩٨٢–١٩٨٧ فتخلى الحزب نهائيا عن سياسة الوسط التي اختط نهجها هارولد ما كميلان ١٩٥٧–١٩٦٢ ، وتابعها من بعده دوغلاس هيوم ١٩٦٣–١٩٦٤ ثم ادوارد هيث ١٩٧٠–١٩٧٤– لينتهج المحافظون مع تاتشر خطا يمينيا غير معالم الحياة السياسية البريطانية ، وهذا النهج هو ولد حال التطرف في « حزب العمال » الذي وجد نفسه يخسر تدريجيا الاسس السياسية التي كان قد وضعها « كليمنت اتلي » ١٩٤٥–١٩٥١ – وتركت اثارها بشكل او باخر على الحكومات التي تعاقبت بعده .

فبعد ضرب نفوذ نقابات العمال الذي كانت تاتشر تجد فيه عائقا امام توظيف الاستثمارات الاجنبية ، والنجاح في لوي ساعد عمال المناجم اللذي استمر اضرابهم سنة كاملة ، وامنت جانب النقابات بشقها وبتاليبها على بعضها البعض وانتقلت في خطوة ثانية الى ازالة الحواجز امام الاستثمار ، فسهلت تحويل راس المال ، وتبعا لذلك اوجدت حالة اجتماعية جديدة هي « الراسمالية الشعبية » ، وحسب هذا المفهوم اخلت تاتشر تبيع القطاع العام ، فارتفعت نسبة الذين يملكون اسهما في سوق الاوراق المالية من ٧٪ عام ١٩٧٩ الى ٢٠٪ عام ١٩٨٧ .

وبان الانقسام واضحا بين فئات الشعب ، فئة تملك القدرة على الشراء ، واستغلال المكاسب التي تسهلها الحكومة في مجال الاقتصاد الحر منحصرة في الجنوب واخرى معدمة تعيش حال الفقر المدقع بسبب البطالة والركود الاقتصادي ، وعدم وجود فرص جديدة للعمل محصورة في الشمال ، بينما مناطق الجنوب اعطت المحافظين كل اصواتها في نسبة وصلت الى ٤٨٪ لم تتعد النسبة في مناطق الشمال ٢١٪ حيث نال العمال ٥٤٪ وفي حين اعطى العاطلون عن العمل حزب العمال نسبته الكبرى – رجال ٥٦٪ نساء ٥٤٪ نال المحافظون – رجال ٢١٪ نساء ٢٢٪ .

الاكثرية الغائبة ..

تبدو بريطانيا للناظر وكانها دولة تحكمها النساء ، ويبعث هذا الانطباع هو وجود الملكة اليزابيث على راس المملكة ، ووجود مارغريت تاتشر على راس الحكومة .

الا أن وجود هاتين السيدتين على راس الحكم لايعكس خريطة الوضع السياسي في بريطانيا على حقيقتها ، فمع أن النساء يشكلن ٥٢٪ من سكان بريطانيا الا ان مستوى تمثيلهن البرلماني لا يتناسب وهذه النسبة حيث لا تشكل النساء سوى ٤٪ من اعضاء البرلمان اي ٢٨ عضوا من مجموع ٦٥٠ عضوا .

ومن هنا فقد كان موضوع المراة ومشاركتها في العملية السياسية محورا للانتخابات الاخيرة ، حيث اصبحت اصوات النساء هدفا تتنافس عليه الاحزاب السياسية من اجل تحقيق الفوز .

وعلى الرغم من الضجة التي اثيرت حول قضية المراة في الانتخابات الاخيرة التي لم يسبق لها مثيل في اي انتخابات اخرى ، فان الاحزاب السياسية الثلاثة لم تقدم في برامجها ما يمكن اعتباره معالجة حقيقية لمشاكل المراة .

وعلى هذا يبدو دخول المراة الى البرلمان ومشاركتها في العملية السياسية ليس بالامر السهل ، وقد تكون المراة ذاتها احد الاسباب التي تحول بينها ، وبين مجلس العموم .

ومن جهة اخرى فان الوضع الاجتماعي يلعب دورا كبيرا في نجاح المراة السياسية في عملها فهي تواجه صعوبة كبيرة اذا ما كانت مطلقة كما انها تكون عرضة للتجريح والشائعات اذا ما كانت غير متزوجة .

ويبدو ان النساء السياسيات في بحث مستمر عن هويتهن ، وهذا ناجم عن عدم نقل المجتمع والصحافة لهن على صورتهن الحقيقية .

وعلى هذا تبدو تاتشر الرابحة الاولى في معركة النساء مع السياسة وهي على الرغم من رسوخ سمعتها كقيادية ، وزعيمة كبيرة الا انه كثيرا ما يثار السؤال حول انجازاتها بالنسبة الى وضع المراة .

والجواب عن هذا السؤال هو ان ما رغريت تاتشر نجحت في كونها اول رئيسة وزراء في تاريخ بريطانيا ، والاقوى من شغل هذا المنصب بعد « ونستون تشرشل » ، الا انها لم تخلق شيئا يذكر لصالح تحسين اوضاع النساء في بلدها واللاتي يرزحن تحت وطاة مشاكل اقتصادية واجتماعية وصحية ، وتشريعية عديدة .

وما راهنت عليه الاحزاب السياسية خلال الانتخابات هو كسب اصوات اولئك النساء ، ولكن ياترى هل ستتحول الوعود الى انجازات ؟ هذا ما ستجيب عنه الايام المقبلة .

اسرار ضعف حزب العمال :

لم يكن تقهقر حزب العمال بسبب اخطاء قيادته ورئيسه « نيل كينوك » ، فليس كل الشعب البريطاني ميالا لاعطاء احكامه على حزب « قديم » نتيجة لاخطاء رئيسه .

ان اضمحلال شعبية حزب العمال ترجع الى عوامل اساسية تتعلق بقواعد اللعبة السياسية في الحياة البريطانية في الداخل والخارج ، فقد نشط المحافظون في الهجوم على حزب العمال من نقطة الضعف في برنامجه الحزبي ، خاصة سياسة الحزب ازاء قضية التسليح فالعمال وضعوا سياسة التسليح على بساط البحث ، ونسوا ان مثل هذه القضية تكون شائكة ، وعلى اشد ما يكون التعقيد ، كما انها قضية من النموذج المتفجر ، الذي يمكن ان تطال شظاياها اصحابها اكثر من هدفها المقابل .

كانت مارغريت تاتشر حين وضع حزب العمال سياسة التسليح التي تدعو لتصفية القواعد الذرية من بريطانيا بصورة جذرية ، ودعوة الولايات المتحدة لسحب ترساناتها الذرية من بريطانيا ، كانت تاتشر تعاني من اصابة بالغة في موقفها الشعبي بسبب صلابة مواجهتها لعمال المناجم ولجوئها لسياسة التجويع لعائلات هؤلاء العمال ، وكانت العلاقة بين الشرق والغرب على اشد ما يكون الخلاف ، ومن ثم فان الخوف بالتهديد الذري لدى البريطانيين ظل هاجس القوم ومن ثم فانه لا مانع من دعوة امريكا لسحب اسلحتها الذرية حتى يمكن التخفيف عن الجزيرة البريطانية من امكانية انزال ضربة ذرية سوفييتية على اوروبا نتيجة لاي خطأ في الحسابات .

وعلى الرغم من فوز المحافظين باغلبية ساحقة في الانتخابات فانه لا يمكن الا النظر بتمعن الى التقدم الذي احرزه العمال بالقياس الى ما حققه في الانتخابات الاخيرة ، الامر الذي يشير الى انه كان بامكان العمال ان يحرزوا نتائج افضل في الانتخابات لو انها جرت في موعدها المقرر وهو العام المقبل فكانت قد اتيحت الفرصة لكينوك ليظهر برنامجه الانتخابي بمزيد من التفصيل والشرح وكان الكثيرون اقتنعوا بما طرحه لو اتيح له الوقت الكافي ليبين مساويء تاتشر وسياستها الداخلية والخارجية .

وادراكا منها للتحسن المطرد الذي بدأ يلاقيه العمال بعد توحيد حزبهم اقنعت تاتشر على حل البرلمان والدعوة الى انتخابات مبكرة ، جاءت نتائجها لصالح المحافظين ، وليس لصالح بريطانيا كما يعتبر المراقبون ، نظرا لما يمكن ان يترتب على السياسة التاتشرية من اعباء يتحمل وزرها الشعب البريطاني ، ومنها تمكين قلة من البريطانيين من التحكم باكثرية الشعب وزيادة غنى الاغنياء ، بينما عامة الشعب ترزح تحت الوان عديدة من الحرمان وفرص العمل ، وقد لجأت تاتشر خلال السنوات الاخيرة الى تحطيم النقابات ، فخاضت حربا ضارية ضد نقابة عمال المناجم ، وسلمت القطاع الخاص معظم مرافق الدولة .

رواتب محددة :

اعضاء مجلس اللوردات لا يتقاضون اية مرتبات عن عملهم في المجلس ، ولكنهم يمنحون بدلات سفر عند رحلاتهم ، وبدلات سهر عن تأخرهم في المناقشة اما اعضاء مجلس العموم فيحصلون على مرتب سنوي لعملهم في المجلس ، ويبلغ راتب عضو المجلس حوالي ١٨ الف جنيه سنويا مع علاوة خاصة باعمال السكرتارية قدرها ١٢٢١١ جنيها في العام كما يحصلون ايضا على بدلات سفر وسهر ،والاقامة اذا كان العضو من خارج لندن ، وهناك علاوة اخرى على المرتب تحسب على عدد الناخبين الذين ادلوا باصواتهم له لكي يوصلوه الى البرلمان ، وهي بواقع ٢-٣ بنسات عن كل صوت حصل عليه .

وقد تقرر مؤخرا رفع قيمة التأمين الانتخابي الذي يدفعه المرشح لتسجيل نفسه في لائحة المرشحين من ١٥٠ جنيها استرلينيا الى ٥٠٠ جنيه يفقدها المرشح اذا لم يحصل على مايساوي ثمن اصوات الناخبين .

وغير مسموح لاي مرشح ان يصرف على دعايته في الانتخابات اكثر من ٢٧٠٠ جنيه .

رؤساء حكومات بريطانيا في نصف قرن (١٩٣٧ – ١٩٨٧)

١ – نفيل تشمبرلين	محافظون	(١٩٣٧ – ١٩٤٠)
٢ – ونستون تشرشل	محافظون	(١٩٤٠ – ١٩٤٥)
٣ – كليمنت أتلي	عمال	(١٩٤٥ – ١٩٥١)
٤ – ونستون تشرشل	محافظون	(١٩٥١ – ١٩٥٥)
٥ – أنتوني ايدن	محافظون	(١٩٥٥ – ١٩٥٧)
٦ – هارولد ماكميلان	محافظون	(١٩٥٧ – ١٩٦٣)
٧ – دوغلاس هيوم	محافظون	(١٩٦٣ – ١٩٦٤)
٨ – هارولد ويلسون	عمال	(١٩٦٤ – ١٩٧٠)
٩ – ادوارد هيث	محافظون	(١٩٧٠ – ١٩٧٤)
١٠ – هارولد ويلسون	عمال	(١٩٧٤ – ١٩٧٦)
١١ – جيمس كالاهان	عمال	(١٩٧٦ – ١٩٧٩)
١٢ – مارغريت تاتشر	محافظون	(١٩٧٩ – ١٩٨٧)

تصفية «الاشتراكية» :

بعيد فوز تاتشر بالانتخابات الاخيرة اعلنت انها تنوي عرض مشروعي قانون على مجلس العموم الجديد حول الاسكان والتربية يهدفان الى تجريد السلطات المحلية من اقصى قدر ممكن من صلاحياتها خصوصا ، وان المحافظين يعتبرون هذه السلطات من الركائز الاساسية لحزب العمال ، ويشكل ذلك ايضا احدى الادوات الرئيسية لاستراتيجية تاتشر التي تعهدت بتصفية « الاشتراكية » في بريطانيا بعد ان تمكنت من تقليص قوة النقابات بشكل كبير .

وتنوي تاتشر استنادا الى ماكان يرد في حملتها الانتخابية اعادة الصناعات المؤممة الى اصحابها بوسائل لتشجيع الانتشار الاوسع للملكية وتسهيل شراء الاسهم في الصناعات سواء كان للعاملين في تلك الصناعات ، او على مستوى الافراد .

العلاقات البريطانية ـ الامريكية :

لم تتمكن معظم دول اوروبا الغربية ومنها بريطانيا الافلات من ذيل السياسة الامريكية . لذلك نرى بان بريطانيا تنفذ سياسة امريكية في كثير من المناطق ، وخاصة منطقة الصراع العربي ـ الصهيوني ويعود هذا الى التحالف الوثيق بين الادارة الامريكية برئاسة ريغان ، وبين حزب المحافظين اليميني الذي تمثله تاتشر في زمام السلطة والحكم .

فخلال الانتخابات البريطانية الاخيرة قامت الادارة الامريكية بنشاط داخل بريطانيا لتاييد تاتشر وحزب المحافظين لان ريغان يرى في سياسة تاتشر خير حليف وساند لسياسته المعروفة بعدائها للشعوب في العالم ، وهكذا ماعبر عنه الناطق الرسمي باسم البيت الابيض الامريكي عندما اعلن عن فوز تاتشر وحزبها في الانتخابات ، وقد ابدى ارتياحه تجاه ذلك وقال : ان هناك توافقا في السياسة الامريكية ـ البريطانية ، وان اللقاءات والاتصالات لم تنقطع بين ريغان وتاتشر والتنسيق متواصل بينهما لرسم وتنفيذ سياسات جديدة .

تسهيلات للقوات الامريكية :

وفي موضوع الدفاع ترى تاتشر ان الاسلحة التقليدية لم تعد كافية في العصر الحديث ، وان امتلاك الاسلحة النووية هو قضية حيوية للتحقيق « واجب الدفاع عن الامة وعن اوروبا » ، وتسعى ايضا الى تعزيز القواعد الامريكية على

الاراضي البريطانية ، وزيادة التسهيلات للقوات الامريكية ، ومنظمة حلف الاطلسي، وتعارض تاتشر اجراء اي خفض على الترسانة النووية البريطانية او التفاوض مع السوفيات حول هذا الموضوع ، وفي المستقبل سوف تشتري حكومة المحافظين صواريخ « ترايدنت » النووية الامريكية ، والتي تحملها الغواصات .

هذه هي بعض ملامح السياسة التي سوف تنتهجها تاتشر خلال السنوات الخمس القادمة ، ويرى زعيم حزب العمال « نيل كينوك » ان مؤسسة المحافظين تلقي بالشعب في سلال المهملات ، وتعني المزيد من التردي الصناعي ، كذلك الصحة والتعليم والخدمات الاجتماعية وسوف يقسم الفقر « المملكة المتحدة » ويوزعها على الاغنياء دون النظر الى احتياجات الناس الحقيقية .

قضية « الشرق الاوسط » في الانتخابات البريطانية :

ولكن السياسة الخارجية ، لم تمر في الانتخابات البريطانية مرور الكرام ، دون ان يلقي احد بالا اليها ، فلم يحتو البرنامجان الانتخابيان للحزبين الرئيسين ، الا على سطور قليلة عن الشؤون الخارجية ، وسطور اقل من سياسة بريطانيا الخارجية بشان « الشرق الاوسط » فقد ورد في البرنامج الانتخابي لحزب العمال « سيسعى الحزب بنشاط لتحقيق سلام في« الشرق الاوسط » يحمي امن « اسرائيل » ويعترف بحق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم » .. اما برنامج المحافظين الانتخابي فيقول : « لقد لعبنا دورا بارزا في التقريب بين اسرائيل والدول العربية المعتدلة من اجل مفاوضات سلام في اطار مؤتمر دولي » ..

بريطانيا حتى عام ١٩٩٢ :

في قراءة متانية لما طرحته تاتشر حتى الان في نهجها السياسي نجد انه كان استكمالا وبلورة لما كان قد طرحه « ونستون تشرشل » بعد « كليمنت اتلي » عندما خاض المعركة الانتخابية عام ١٩٥١ تحت شعار « اطلقوا حرية الشعب » حرية الاقتصاد والمنافسة ، وتقوية القطاع الخاص ، الى جانب قوة دفاعية » وخاض « انطوني ايدن » معركة ١٩٥٥ الانتخابية تحت شعار « الملكية والديمقراطية » من دون اغفال الناحية الدفاعية ايضا • وهذا النهج السياسي جسدته تاتشر في « الراسمالية الشعبية » ، وفي اعتماد سياسة دفاعية لا تهاون فيها دغدغت شعور المواطن العادي ، وبرنامجها للولاية الثالثة يشير الى الاستمرار بهذا النهج ، الامر الذي سيجعلها تكمل الجنوح بـ « المحافظين » الى اقصى اليمين لتطبيق المزيد من بيع القطاع العام وفي زيادة فرص التملك ، وهي قد تبدأ بما وعدت به ليلة اعلان فوز حزبها بصرف ما يزيد على ـ ١٥٠ ـ مليون جنيه استرليني لتنمية مناطق

الشمال بغية القضاء على هيمنة « العمال » على تلك المناطق اولا وللتخفيف من حدة الانقسام بين الجنوب والشمال ومن اجل ذلك يتوقع غير مراقب ان تخوض حربا لا هوادة فيها ضد « اليسار » في حزب العمال الذي يسيطر على المجالس المحلية في تلك المناطق ، والذي في نظر تاتشر يبعد رؤوس الاموال لاستثمار المشاريع فيها .

وحيال هذا النهج اليميني سيجد « نيل كينوك » نفسه امام خيارين ، اما اعتماد سياسة وسطية ، وتعديل سياسة الحزب لجهة النظام الاقتصادي، والدفاعي واما الجنوح نحو « اليسار » اكثر واكثر .

واذا كان « كينوك » قد استطاع تخليص الحزب من كارثة انتخابات ١٩٨٣ ، فانه لم يستطع انقاذه من نتائج انتخابات ١٩٧٩ حيث نال ٣٧٪ من مجموع الاصوات وهو سيجد نفسه موزعا بين اليمين الذي سيطالبه بالحاح باعادة النظر ببعض سياسات الحزب وبين اليسار المتصلب في شؤون كثيرة منها السياسة الدفاعية ، والتاميم ، والنظام الضرائبي .

واذا ما عرفنا ايضا أن بين ٢٢٩ نائبا عماليا كان الثلث ٦٨٪ نائبا يدخلون مجلس العموم للمرة الاولى ، وان هؤلاء منقسمون على الشكل الاتي ١٢ نائبا يمثلون يمين الوسط ٥٥ من « اليسار » المعتدل والمتطرف يضاف اليهم ٨٠ نائبا «يساريا» اعيد انتخابهم ، الامر الذي سيعطي جناح اليسار اكثرية عددية على اليمين بما يزيد على ١٣٥ نائبا فاننا نستطيع ان نرى عمق المازق الذي يعيشه « كينوك » في ادارة حزبه وتصحيح مساره املا بالفوز في انتخابات ١٩٩٢ ، و « اليساريون» اللذين احتجوا على الحملة الانتخابية ، وتركوا « كينوك » يديرها فانه من الصعوبة بمكان ان يبقى هؤلاء على صمتهم في مجلس العموم وخارجه من الان وصاعدا .

ان حال المعارضة المشتتة هي التي ارجعت مارغريت تاتشر الى الحكم مرة ثالثة ، وهي ستطلق يدها في اكمال سياساتها في السنوات الاربع المقبلة الا اذا نجح « نيل كينوك » في العودة بـ « العمال » الى الوسط لاستمالة الذين فقدهم منذ اواخر عام ١٩٧٩ ، ونجاحه في ذلك يتوقف على مدى قدرته في اسكات « اليسار » فيكرر ما فعله كليمونت اتلي عشية انتخابه عام ١٩٥٠ عندما وقف في اللجنة التنفيذية للحزب وصرخ في وجه البروفيسور « لاسكي » (الذي كان يراس جناح « اليسار » قائلا : ما يطلبه الحزب والشعب منك الان فترة صمت طويلة) .

والعلاقة مع سورية :

ولم تكن مفاجئة لاحد عندما اقدمت حكومة تاتشر على قطع

العلاقات مع سورية في اواخر العام الماضي تحت مزاعم باتهام سورية بانها خططت لتفجير طائرة الـ « عال الاسرائيلية » في مطار هيثرو البريطاني . واتهام سورية بانها وراء العمليات الارهابية على الرغم من نفي سورية منذ الساعات الاولى ونقدها للافتراءات التي وجهت ضدها ، فتابعت الحكومة البريطانية اجراءاتها وفي محاولة لجر باقي الدول الاوروبية لاتخاذ مواقف معادية لسورية .

ان من يقرأ تاريخ بريطانيا يرى صفحات سوداء عديدة لطختها اعمالها الاجرامية والتي كان في مقدمتها وعد بلفور والاشراف على قيام كيان العدو الصهيوني على ارض فلسطين .

وما برحت حكومة تاتشر تسير على خطا سابقاتها على طريق العداء للامة العربية وقضاياها .

وعندما تتصدى سورية لمخططات امريكا وحلفائها توصم بتهمة الارهاب ، وعندما تكافح من اجل استرداد الاراضي العربية المحتلة تتهم بانها تجانب الارهابيين ، لقد مارست حكومة تاتشر الاولى والثانية ، وتمارس سياستها العدوانية ضد سورية وضد قضية العرب المركزية ، لان من ينصب نفسه معاديا لسورية ، فهو معاد لقضايا العرب عامة ، وان سورية لم تكن يوما من الايام مع الارهاب ، بل ضده ، وانها مع كفاح الشعوب من اجل استقلالها ، وان سورية تفرق تماما بين الارهاب وبين الكفاح المشروع ، وان سورية دعت على لسان رئيسها الرفيق المناضل حافظ الاسد لعقد مؤتمر دولي لتعريف الارهاب ، ولاقت الدعوة استجابة من العالم ما عدا الدول التي تدور بفلك السياسة الامريكية كبريطانيا .

تقارير

تحالف الاحتكارات والعسكريين ضد الدول النامية

ترجمة الرفيق : يوسف زينة

عن الحياة الدولية

(شباط ١٩٨٧)

الكاتب : تشيرنيشيف

في الظروف الراهنة للتطور العالمي تحتل المشاكل الاجتماعية الاقتصادية والسياسية لدول آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية اهمية خاصة بالنسبة للبشرية فالتخلف الذي ورثته هذه الدول عن عصر الاستغلال الامبريالي الاستعماري الحديث وكذلك فقر مئات الملايين من البشر والبعد الكبير بين مراكز وريف الاقتصاد الراسمالي العالمي تشكل احدى اهم المشاكل التي يعاني منها العصر .

وفقا لتقديرات منظمة التغذية التابعة للامم المتحدة « فاو » فإن ١٠٪ من سكان العالم في حالة جوع و ٤٧٪ من سكان المدن و ٨٧٪ من سكان الريف في ظروف غير صحية و ٢٥٪ من سكان

المدن و ٧١٪ من سكان الريف محرومون من مياه الشرب الصحية المضمونة. و ٢٦٪ من سكان العالم في مساكن لاتتوافر فيها ادنى أسباب الراحة و ٣٧٪ لم يحصلوا ابدا على مساعدة طبية وعدد سني الحياة اقل من ٦٠ سنة .

ما هي الاسباب الجذرية للتخلف الاقتصادي الاجتماعي ولهذا الوضع المتفاقم الذي تعاني منه غالبية سكان العالم ؟.

ان النظريات البرجوازية التي تنظر الى هذا الوضع كحالة طبيعية كان على جميع الدول المتطورة المرور فيها ، تبرر في الوقت نفسه التوسع الاستعماري .

والحقيقة ان السبب الرئيسي هو الاستغلال الراسمالي في عصر الراسمالية المبكرة وفي عصر الامبريالية . وتعتبر التجارة الاستعمارية احد المصادر الرئيسية لتجمع راس المال في اوروبا الغربية . ففي القرنين السابع عشر والثامن عشر سيطرت تجارة العبيد والنهب المباشر للاراضي المحتلة التي تخلفت تاريخيا عن التطور بما يعادل مئة سنة الى الوراء . ومع تطور الراسمالية في مرحلتها الاخيرة ـ الامبريالية ـ **فان النظام الاستعماري أصبح بالنسبة للاحتكارات احد اهم مصادر الارباح . ولكن ما يحدث في عشرات السنين الاخيرة ، لا يمكن مقارنته مع هذا .**

وكما اشارت وثائق ومقررات المؤتمر السابع لزعماء الدول غير المنحازة المنعقد في دلهي عام ١٩٨٣ فان الدول المتطورة صناعيا ضخت من الدول النامية ارباحا ومواد ثمينة خلال ٣٠ عاما مايزيد على ما ضخته خلال ٣٠٠ سنةمضت . واما صحيفة « فوليا دي سان باولو » البرازيلية فقد كتبت : « ان السياسة الاقتصادية للدول الراسمالية المتطورة هي حرب اقتصادية يشنها سعر الدولار المتزايد واسعار الفائدة المرتفعة والتبادل التجاري غير المتكافيء التي تدفع البشر الى الجوع والبطالة والامراض وتقتلهم » .

تحتل الشركات **المتعددة الجنسيات** مكانا هاما في ميكانيكية الاستغلال الاستعماري الجديد . هذا ويصور دعاة الراسمال الاحتكاري نشاط هذه الشركات على انه مساعدة مجانية للقضاء على التخلف الاجتماعي ـ الاقتصادي ويطبلون الحديث عن امكانات « التعاون المثمر » بين الشركات متعددة الجنسيات ودول العالم الثالث . ولكن الحقيقة هي ان نشاط الشركات يهدف بالدرجة الاولى الى الارباح الفاحشة . وهنا فان معدل ربح توظيف راس المال في الدول النامية يعادل ضعف الربح في الدول المتطورة صناعيا وذلك نتيجة لمستوى اجور العمل المتدنية والنفقات المنخفضة على الحاجات الاجتماعية والثقافية والضرائب غير المرتفعة وانعدام الحواجز الجمركية .

وتسيطر في الوقت الراهن الشركات متعددة الجنسيات على حوالي ٤٠٪ من الانتاج الصناعي للدول النامية وحوالي نصف التجارة الخارجية بما فيها ثلث صادرات الدول الفتية . **وتشكل الاحتكارات الامريكية القوة الرئيسية في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية لهذه الشركات حيث بلغت توظيفات رؤوس الاموال ٥٠٪ في دول العالم الثالث .**

وبشكل عام فقد بلغت التوظيفات المباشرة للشركات متعددة الجنسيات في الدول النامية خلال السبعينات ٦٢٫٦ مليار دولار واما ارباحها فوصلت الى ١٣٩٫٧ مليار دولار . وبهذا يكون ربح كل دولار وسطيا تم توظيفه في الدول النامية ٢٫٢٣ دولار . وهذا يدل على الاستغلال الفعال لقوى وموارد الدول النامية من قبل الشركات الاحتكارية الراسمالية العملاقة .

تجب الاشارة الى ان اخراج ارباح الانتاج ليس الطريقة الوحيدة لنهب الدول النامية من قبل الاستعماريين الجدد .. فالمراقبة التي فرضتها الشركات المتعددة الجنسيات على التجارة الخارجية للدول النامية لم تكن افضل . ولاجل تخفيض ارباح

الدول الناميا صناعيا وحرمانها من العملات الاجنبية يتم رفع اسعار الاستيراد في فروع الشركات متعددة الجنسيات المنتشرة في الدول النامية . وتخفيض اسعار التصدير في الوقت ذاته . ونتيجة لهذه العملية فقدت الدول النامية خلال عشر السنوات من ١٩٦٥ ـ ١٩٧٥ مالايقل عن ١٧٥ مليار دولار .

وفي بداية الثمانينات سيطرت الشركات متعددة الجنسيات على ٧٥٪ من صادرات النفط العالمية و ٨٠ ـ ٨٥٪ من البوكسيت (خام الالمنيوم) والنحاس و ٩٠ ـ ٩٥٪ الحديد الخام و ٩٠٪ الاخشاب و ٨٥ ـ ٩٠٪ الدخان والقمح والقطن والبن والكاكاو و ٨٠٪ من الشاي و ٧٠٪ من الرز . ونتيجة لوضع الاسعار المرتفعة من قبل الاحتكارات على انتاجها في السوق العالمية اضطرت الدول النامية للاكتفاء بحصتها الضئيلة من ارباح التجارة . وينشأ الوضع التالي : هو ان الدول المتخلفة والفقيرة في الحقيقة تمول النمو الاقتصادي للدول المتطورة الراسمالية .

واذا اخذنا بعين الاعتبار ان الشركات متعددة الجنسيات تحدد مستوى الاسعار العالمية على المواد الغذائية (بما فيها الرز والقمح اللذين يعتبران مادة الغذاء الاساسية لاكثر من ٢٫٣ مليار نسمة في العالم) فانها تعتبر سبب موت عشرات الملايين من البشر جوعا خلال السنوات الاخيرة .

تتدخل الشركات المتعددة الجنسيات ايضا في السياسة الداخلية والخارجية للدول النامية مشكلة بذلك العقبات على طريق التحول الاجتماعي والاقتصادي . وتظهر هذه الشركات احيانا على شكل شركات مستقلة عندما تلبي هذه الدول مصالح الشركات الاستراتيجية . ولكن التغلغل في اقتصاد الدول النامية يكون مرتبطا بدعم القوى السياسية الرجعية والمحافظة والراسمال المحلي الضخم . بالاضافة الى ذلك فان نشاط الشركات يساعد على ظهور ونمو فئة استعمارية جديدة تؤثر في المناخ السياسي

الداخلي في تلك الدولة وتعمل بشكل خاص في الدول النـــامية الشركات المتعددة الجنسيات الكبيرة مثل I.B.M I.T.T ، جنرال موتورز ، فور دموتور ، شيل ، ي كا ي ، يونيليفر ولونرو وغيرهـــا .

بالاضافة الى فئة البرجوازية المحلية وموظفي جهاز الدولة فان الشركات الاجنبية الصغيرة والمتوسطة تعتبر اقنية لتاثير الشركات متعددة الجنسية في الدول النامية . فهي تحصل على نصيبها لقاء استغلال القوة البشرية والثروات الطبيعية للدول الفتية في امريكا اللاتينية وآسيا وافريقيا وتساعد على تسرب جزء من الدخل القومي خارج الحدود . ولهذه الشركات خبرة غنية في العمل في الدول النامية الامر الذي اسفر عن اقامة علاقـات وثيقة مع المتعهدين المحليين وحتى الشخصيات السياسية . لذلك وبسبب عمليات الوساطة فان هذه الشركات تصبح عملاء مثاليين للشركات المتعددة الجنسية .

وساعد نشاط الشركات متعددة الجنسية على نمو الديون الخارجية للدول النامية . فقد تزايدت الديون الخارجية لهذه الدول خلال ثلاثين سنة الماضيـة بشكل خطير : ٨ مليار دولار في عام ١٩٥٥ و ١٦ مليار دولار في عام ١٩٦٠ و ٣٥ مليار في عام ١٩٦٥ و ٣٢٢ في عام ١٩٧٨ و ٥٦٩٫٥ مليار دولار في عام ١٩٨٢ وتريليون دولار في عام ١٩٨٥ .

مع تشكيل المجمعات الصناعية الحربية في الولايات المتحدة الامريكية وانكلترا وفرنسا في الستينات وتزايد سباق الاسلحة الاستراتيجية والصاروخية النووية فان دور الدول النامية لم يضعف فقط وانما بالعكس عظم في صراع الامبريالية من اجل الهيمنة العالمية ، وبالاضافة الى اهمية هـذه الدول كملحقات

زراعية وخامية للعالم الراسمالي فانها تحولت الى مشترية ومنتجة للاسلحة والعتاد والذخائر .

ويبين الجدول التالي ان النفقات الحربية قد تزايدت خلال نصف قرن عشر مرات .

واذا كانت نفقات الدول المتطورة صناعيا قد ارتفعت بمقدار ٧٫٨ مرة فان الدول النامية ١٢٠ مرة . وفي عام ١٩٣٠ كانت نفقات المجموعة الاولى من الدول بالنسبة للمجموعة الثانية ١/٤٩ فان النسبة اصبحت في عام ١٩٨٠ ١/٣٫٢ .

نمو النفقات الحربية في العـالم
(بمليارات الدولارات)

مجموعات الدول	١٩٣٠	١٩٣٨	١٩٤٨	١٩٥٥	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠
العالم عامة	٥٠	١٣٠	١٢٠	١٩٠	٢٥٠	٤١٠	٤٥٠	٥٠٠
مجموعة الدول المتطورة صناعيا	٤٩	١٢٧	١١٦	١٨٠	٢٢٠	٣٥٠	٣٧٠	٣٨٠
مجموعة الدول النـامية	١	٣	٤	١٠	٢٠	٦٠	٨٠	١٢٠

يتزايد باستمرار ايضا تعداد القوات المسلحة . ففي بداية الثمانينات بلغ تعداد القوات المسلحة النظامية في الدول النامية اكثر من ١٥ مليون نسمة ، **اي حوالي ٦٠٪ من التعداد العام للقوات المسلحة النظامية في العالم .**

ان الزيادة المستمرة للنفقات الحربية تؤثر سلبا على ديناميكية النمو الاقتصادي وكذلك فان حجوم الاستثمارات تشكل عبئا ثقيلا على جميع دول العالم وبخاصة الدول النامية . فالانتاج الذاتي

للاسلحة وبيعها في السوق العالمية يؤثران في جميع جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية للدول الفتية وعلى عمليات التضخم والتجارة وعلى الاستفادة من الموارد الطبيعية وعلى التأمين الاجتماعي .

والتبرير السياسي الاساسي لتعاظم العسكرة في الدول النامية هو السعي لضمان درجة عالية من الامن الداخلي والخارجي . وهنا فان قيادة غالبية الدول تنطلق من ان توسيع الانتاج الذاتي للاسلحة يضعف التبعية السياسية والعسكرية بالدول الصناعية المصدرة للاسلحة . ولكن الواقع يبين العكس فاقامة الصناعة الحربية الوطنية في الدول الاسيوية والافريقية والامريكية اللاتينية يزيد من تأثير الدول المصدرة للتكنولوجيا الحربية لان مستواه العالي لا يسمح للدول النامية الاعتماد على قدراتها الانتاجية العلمية والوطنية . وهناك حالات معروفة عندما تلجأ الدول النامية الى البدء من الصفر بعد سنوات عديدة من انتاج الاسلحة بترخيص من الدول المتطورة بسبب تغيير العملية العامة لاستيعاب التكنولوجيا .

وتنفق الدول النامية سنويا على تطوير الصناعة الحربية وشراء الاسلحة والذخيرة من الخارج ٥٫٩٪ من انتاجها الاجمالي القومي و ١٪ فقط على الخدمات الصحية و ٢٫٨٪ على التعليم . وبعض الدول الاقل نموا (مستوى الدخل ٢٠٠ دولار سنويا) تنفق وسطيا على الاهداف الحربية تقريبا بقدر الوسائط التي تنفق على تطوير اقتصادها الزراعي .

ويمكن ان نشير الى مشكلة استخدام انجازات التقدم العلمي التقني بمثابة مؤثر سلبي للعسكرة على الدول النامية . حيث ان المستوى المحدد لامكانية استخدام العتاد الجديد والتكنولوجيا يتعلق بالظروف الاقتصادية ـ الاجتماعية في كل دولة وبالقدرة

العلمية التقنية وتأهيل الكوادر الهندسية والفنية والبنى التنظيمية وبامكانية الحكومة تحديد المهام ذات الافضلية الاولى للتطور وتوفر الشروط لتحقيقها .

ان انتاج الاسلحة الذاتية كاستيراد الاسلحة من الخارج يقلل هذه الامكانات وتطور الصناعة الحربية يشل الجهود الموجهة لتشكيل القاعدة العلمية التقنية الضرورية في الدول النامية .

ان انتاج واستيراد الاسلحة يساعدان على ظهور مجموعة مغلقة من العاملين المؤهلين تأهيلا عاليا والتي يدخل في تكوينها غالبا الخبراء الاجانب . ونتيجة لسرية الاعمال والتباين في الوضع الاجتماعي تحدث هوة بين اعضاء هذه المجموعة والخبراء المدنيين . والفروق في اجور العمل في نهاية المطاف تسفر عن انتقال الكوادر والعلماء المؤهلين عاليا والعمال المهندسين والفنيين من المجال المدني الى المجال العسكري الامر الذي يعرقل التطور الاقتصادي عامة .

وهنا تنشأ مقدمات اجتماعية اقتصادية لتحويل الصناعة الحربية الى مجال الاقتصاد السائد في الدول النامية .

وتؤدي عسكرة الاقتصاد في الدول النامية الى تأزم مشكلة مصادر العمل واستخدامها المنظم . وبغض النظر عن النقص في الكوادر المؤهلة من العمال العاملين فان البطالة تظهر بوضوح في كل مكان من الدول النامية ليبلغ عدد العاطلين عن العمل ـ ٣٥٠ ـ مليون نسمة . واذا استمرت هذه الوتيرة من ازدياد العاطلين عن العمل فان عددهم سيبلغ في عام (٢٠٠٠) ١٫٤ مليار نسمة . ووفقا للاحصائيات الحديثة فان العسكري الواحد في العالم يكلف سنويا ١٩٫٣ الف دولار وعلى تعليم تلميذ واحد في المدرسة ٣٨٠ دولار فقط اي اقل بـ ٥٠ مرة .

ويجب الاشارة الى الظاهرة العامة المتناقضة : ان امن الدول النامية في ظروف تدفق الاسلحة الجديدة لا يتزايد فقط وانما بالعكس يتناقص ويشهد على ذلك ، تزايد عدد النزاعات الاقليمية في الدول الافريقية والاسيوية وامريكا اللاتينية التي تخدم مصالح الدول الراسمالية الرئيسية ، المصدرة للاسلحة . ويرى الكثير

من الخبراء ان الاتجاهات الاساسية لاقامة نظام جديد للامن هي انشاء مناطق معزولة في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وتوسيع اراضي الدول النامية المنزوعة من جميع اسلحة التدمير الشامل (النووية واللا نووية) وتعهد الدول النووية عدم استخدام الاسلحة النووية ضد الدول اللا نووية وعدم تصدير الاسلحة والذخيرة الى الدول النامية (تحت رقابة الامم المتحدة) وديمقراطية القوات المسلحة في هذه الدول .

ولكن سياسة الدول الامبريالية وعلى راسها الولايات المتحدة ونشاط حلف الناتو العدواني يعرقل تعزيز الامن الدولي وتقليص سباق التسلح في العالم . وبدءا من عام ١٩٦١ عندما اعلنت بصراحة ضرورة الاهتمام بالمناطق المهددة في آسيا والشرق الاوسط وافريقيا وامريكا اللاتينية فان قيادة الحلف لا تحاول اخفاء جوهرها الاستعماري .

بالاضافة الى ذلك فان الحديث اصبح يدور عن صياغة استراتيجية سياسية ـ عسكرية موحدة مهمتها اعطاء ثروات الدول النامية الى الاحتكارات متعددة الجنسيات . وفي جلسة لجنة التخطيط الحربي للناتو في كانون الاول ١٩٨٤ فرض البنتاغون على شركائه عددا من الاجراءات التي يجب تنفيذها في حال ارسال القوات الامريكية الى اية نقطة ساخنة من العالم .

يتضح مما ورد ان الجهود الفعالة للدوائر الاحتكارية في الغرب والمجمع الصناعي الحربي ترمي الى تعزيز مواقع الاستعمار الحديث والى اجبار الدول النامية على الانحراف عن النهج التقدمي الى لتحولات الاقتصادية الاجتماعية العميقة . وهنا تظهر بوضوح اكثر ضرورة **توحيد جهود جميع الشعوب المحبة للحرية في العالم ضد نظام استغلال الانسان للانسان وضد الامبريالية من اجل السعادة والتقدم الاجتماعي .**

تقارير

وحيدون بين اخوتهم

بقلم : ريشارد غونتاج
ترجمة : ميشيل منير

تشن المراكز الدعائية الصهيونية في بلدان عديدة من العالم حملة ضد بولونيا مستغلة بدناءة لهذا الغرض ذكرى الانتفاضة في غيتو وارسو (نيسان ١٩٤٣) . وتطرح هذه الدعاية موضوعة في غاية التضليل ، الادعاء بان الشعب البولوني كان شريكا في المسؤولية عن ابادة اليهود البولونيين . لا توجد حاجة لمناقشة تلك الادعاءات المغرضة . ولكن التذكير بالتاريخ المأسوي للانتفاضة ودور مجموعة من اليهود يتطلب نشر الجزء الثاني من مقال الصحفي البولوني ريشارد غونتاج .

(الجزء الاول نشر في العدد ٢٠٣ كانون الاول ١٩٨٦ تحت عنوان : النداء الاخير ..) « المناضل »

بقيادة غانتسفايخ اتسع الـ ١٣ (اسم الغستابو اليهودي نسبة لرقم المنزل في شارع ليشنو الذي كان مقراً له) كثيراً واصبح له نفوذ كبير في حيـــاة الغيتو . وبفضل الاعيب خبيثة اكتسب غانتسفايخ الجاسوس الهتلري المخضرم شعبية كبيرة في الغيتو ، فقد انتقد بشدة المجالس المحلية اليهودية المكروهة واحاط بالرعاية الفنانين والمبدعين وتدخل لدى السلطات الهتلرية في قضايا مختلفة . بفضل تدخله مثلا اطلق سراح الدكتور يانوش كورتشاك من السجن وكذلك عدة حاخامات آخرين . بالاضافة الى التجسس مارس جهاز الـ «١٣» التخريب الهادف الى الحفاظ على طاعة الجماهير اليهودية تجاه المحتل حيث روج لعظمة الرايخ وحتمية سيطرته على العالم وعمل عملاء الـ «١٣» على اقناع الناس في الغيتو **بان هتلر سيحل نهائيا القضية اليهودية بنقل وتوطين اليهود في مكان ما خارج أوروبا .**

كتب .. **روتكوفسكي** في نشرة المعهد التاريخي اليهودي (وارسو تموز ـ كانون الاول ١٩٥٦ ، العدد ١٩ ـ ٢٠) انه بنتيجة تأييد المحتل شكلت الـ «١٣» قوة كبيرة مشؤومة في غيتو وارسو يخافها ليس فقط سكان الغيتو العاديون بل تحسب حسابا لها ايضا اليودنرات (المجالس المحلية ـ المترجم) الممثل الرسمي والوحيد لسكان اليهود لدى المحتل. يذكر روتكوفسكي اسماء اقرب معاوني غانتسفايخ وهم :

دافيد شيترنفيلد من لودج ، المحامي ليفين من وارسو ، المحامي ليفين من فيلنوس ، ليون سكوكوفسكي من لودج ، وولف شيمونوفيتش من رادومسكو ، الصحفي م. ليزورو فيتش ، الدكتور فيلدشوه المحامي كلاينفيكسلر ، المحامي برامسون ، الدكتور شيروتا ، المحامي ريشيل ، الاخوة بروجانسكي ، موريتس كون وزيليك هيلر من لودج ، المحامي الدكتور ستوتر ، المحامي بوراكس ، يهودا فارشافياك ، وكذلك كاتز ، بيالر ، رايخمان ، هندل ، كاتر ، غوروفيتش ، كينيغل .

سيطر عملاء غانتسفايخ على جميع ميادين الحياة في الغيتو . وبالاستناد الى تقارير رجاله اعد غانتسفايخ تقارير لرؤسائه فـــي

الغستابو وكان يسلمها كل يوم ثلاثاء في شارع شوفنا ٢٥ (مركز الغستابو) .

بالرغم من الارهاب الشديد ظهرت في الغيتو مجموعة من الشجعان الذين رفضوا الموت راكعين وبالتفاهم مع المنظمة السرية البولونية « المنظمة العسكرية ـ سلك الامن » نشأ في الغيتو الاتحاد العسكري اليهودي .

ولكن عملاء غانتسفايخ رصدوا بسرعة نشاط الاتحاد العسكري اليهودي . وحينها شكل غانتسفايخ منظمة «جاغيبيف» لمكافحة حركة المقاومة في الغيتو وكذلك ـ كما تبين بعد ـ لكشف حركة المقاومة البولونية .

تحدث عن ذلك ضابط المنظمة العسكرية ـ سلك الامن الماجستير تاديوش بيدنارتشيك الذي ساهم في تنظيم الاتحاد العسكري اليهودي (« **المرتزقون ، العداء للسامية ، العمالة** » ـ « السجل » لندن ٢١ـ١٠ـ١٩٦٧) وبيدنارتشيك هو الذي تعقب مع مساعديه « **جاغيبيف** » وبدأ ـ بتعاون وثيق مع الاتحاد العسكري اليهودي ـ معركة معهـــا .

كتب بيدنارتشيك : « في يوم ٣١ آذار عام ١٩٤٣ تم تنفيذ حكم الاعدام ببعض رجال الغستابو اليهودي : بافل فلودوفسكي ، اريك فينتراوب ، حاييم مانغيل وليديا رادجيوفسكا .

ويقول بيدنارتشيك : « كان عدد اليهود ـ عملاء الغستابو ـ كبيرا الى درجة ان نشاطهم بدا يشمل ليس فقط الحي الآري في وارسو بل كذلك كل المأمورية العامة (بولونيا المحتلة) » .

من اشكال نشاط عملاء «**جاغيبيف**» التسلل الى المنظمات السرية البولونية وفرق الانصار . تسللوا بالطبع كهاربين من الغيتو مندفعين للقتال . من يشك بصحة نوايا الناس الذين حكمت عليهم الهتلرية بالموت فقط لانهم ولدوا يهودا . فهيا انهم موثوقون اكثر من جميع اعداء

الهتلرية . وقد دفع الثمن غاليا اولئك الذين بدافع نبيل وتقوا بمخربي « جاغييف » . كانت الضربات المتتالية التي نزلت بخلايا حركة المقاومة في مختلف انحاء البلاد وكذلك النشاط الفعال للاتحاد العسكري اليهودي السبب في فضح الخونة الانذال وقد اعدم الكثير منهم بحكم صادر عن محكمة الاتحاد العسكري اليهودي . فعلى سبيل المثال اصدرت محكمة الاتحاد العسكري اليهودي في آب عام ١٩٤٢ حكما بالاعدام على ثلاثة من عملاء « جاغييف » ونفذ بهم الحكم وهم بلوم ، تسيمينتوفيتش وماليفسكي ، وبعد وقت قصير القي القبض في شارع الكتورالنا ٨/٦ على ١١ من اعضاء جاغييف بينهم ٣ نساء .

وكان من بين الذين اعدموا في الفترة بين تموز وتشرين الاول — كما يقول ت. بيدنارتشيك — هيش وشابول من تشنستوخوفا ، ناومان قرب بيوتركوف ، بوتر من بياوو بجيغي ، يوزف كابلان ، يوزف زغمونت وفلاديسلاف فينو في زمبجيتسي ، غروبه في تشيخ قرب نوفي تارغ ، سينيتغر في بلوغ قرب سوليوف ، بيوتر هيلفبرغ وينتسك ، غولدفيلد في لوسوشينا دولنا ، رومان هينتز في بيوتركوف .

وقد استخدم الغستابو عملاء «جاغييف» ايضا لاصطياد الهاربين من الغيتو وكذلك لكشف البولونيين الذين يخبئون اليهود ويقدمون لهم مساعدة . تسلل الجاغفيون الى الاحياء الارية من المدن متظاهرين انهم هاربون وذلك لتعقب اخوتهم المختبئين والبولونيين الذين يساعدونهم وتسليمهم الى الغستابو . هناك حيث مروا خلفوا وراءهم الموت والحداد . عملوا في مجموعات منظمة وكانوا مسلحين بالاسلحة النارية ويحملون شارات الغستابو الحديدية . كانت جاغييف احد اشكال نشاط العمالة اليهودية للغستابو . لاتسمح لنا السير الجزئية والوثائق القليلة جدا بتحديد البنية الدقيقة للغستابو اليهودي ولا الاشخاص الذين تالف منهم ولا مجال نشاطه والتشكيلات المرتبطة به . ولكن وثائق مكتب المفوض الالماني لغيتو وارسو اورسفالد تلقي بعض الضوء على تلك القضايا .

يستنتج من تلك الوثائق انه طوال وجود الغيتو دارت بين الـ « ١٣ » واليودنترات معركة حامية على النفوذ والاهمية و ... عطف الاسياد الالمان . **تبادل الجانبان الاتهامات بارتكاب مختلف الذنوب بحق السلطات الهتلرية** رافعين في الوقت نفسه من مكانة خدماتها للالمان . جرت بينهما مزاودة في الخيانة والجريمة . اتهم غانتسفايخ مثلا شرطة النظام بانها لا تبذل النشاط الكافي في مكافحة تهريب الاغذية . ولاثبات تلك التهمة اوصى غانتسفايخ عملاءه بالتقاط عدة صور للمهربين الذين يدخلون الى الغيتو امام اعين الشرطة اليهودية لنامل ان يمكن المعهد التاريخي الصحافة من الوصول الى تلك الوثائق النادرة وكذلك الى تقرير غانتسفايخ السنوي الموجود لدى المعهد التاريخي اليهودي .

ذكرت بعض الوقائع ، جزءا من الحقيقة عن العمالة والخيانة الداخلية بين اليهود وآمل ان يقوم المؤرخون بجهد البحث العميق لتلك الظاهرة . وعندما احني راسي اليوم امام بطولة ثوار الغيتو اود بنفس الوقت التاكيد على عزلتهم المريعة بين اخوتهم . واريد بالمناسبة التاكيد بكل قوة على ارتباطهم بنا ، ببولونيا . انهم اولئك الالف الشجعان الذين وقفوا ضد المجرمين الهتلريين لانقاذ شرف مجتمعهم وكي يموتوا واقفين . كانت معركتهم معركتنا وتشكل جزءا لا يتجزا من ماضينا الحربي .

انشطة ووثائق

القيادة القومية

● كرم الرفيق المناضل حافظ الاسد الامين العام للحزب رواد الرحلة الفضائية السوفياتية ـ السورية حيث استقبلهم وقلدهم الاوسمة الممنوحة لهم . والقى الرفيق الامين العام للحزب الكلمة التالية :

اريد ان ارحب بكم ترحيبا حارا وان اهنئكم بهذا الانجاز الكبير الذي انجزتموه والمهمات العلمية التي نفذت خلال التحليق الفضائي ، ان هذا الانجاز اضافة الى قيمته العلمية وضع مدماكا آخر في صرح علاقات الصداقة العربية السورية ـ السوفياتية .

ان العلاقات بين بلدينا هي علاقات قوية اثبتت قوتها خلال تجارب شديدة وصعبة طوال سنين عديدة في مواجهات حارة مع القوى والدوائر الامبريالية في العالم ومع ذلك فصداقتنا على قوتها تحتاج الى تغذية دائمة والى اضافات مستمرة.

وقال الرفيق الامين العام للحزب القائد حافظ الاسد ، لقد وضعتم بعملكم واضفتم به اضافة هامة لهذه العلاقات ، انني وحزبنا وشعبنا جميعا كنا نتابع اعمالكم بكل ما نستطيع ، وكنا فخورين بما تم ، وسنظل فخورين بما تم ، وهذا الطريق الذي سلكناه سنتابعه في المستقبل وسنحاول بطبيعة الحال ان نستفيد من هذه النتائج التي توصلتم اليها لمصلحة شعبنا .

اننا في سورية قررنا من زمن بعيد ان نتعاون مع اصدقائنا في الاتحاد السوفييتي وان ناخذ دورنا في النضال من اجل سلام عادل ومن اجل حياة يسودها الاطمئنان لكل ابناء البشرية ، ومن هنا فان علاقتنا استراتيجية اي ذات مدى بعيد وعميق .

وقال الرفيق الامين العام للحزب في كلمته ، انا اقدر وانا اتحدث اليكم ان هذا العمل الذي حصل هو نتيجة جهود عدد كبير من الاشخاص هنا وفي الاتحاد السوفييتي ، اننا نقدر ان هناك عددا كبيرا من الفنيين والمهندسين والاداريين في الاتحاد السوفييتي عملوا بجهد جهيد للوصول الى هذه النتيجة ، ولذلك اتوجه بالشكر اليهم جميعا واقول دعونا نعمل جميعا ونحن على قناعة تامة من اجل تعميق الصداقة بين بلدينا وشعبينا .

فلتعش وتتعزز الصداقة العربية السورية ـ السوفياتية ، ومرة أخرى ارحب بكم واهنئكم .

وقد اتى تكريم الرفيق الامين العام للحزب المناضل حافظ الاسد لرواد الرحلة الفضائية السوفياتية ـ السورية المشتركة وبعض المسؤولين والعلماء والفنيين السوفيات تتويجا لرعايته الكريمة يوليها لهذه النقلة النوعية التاريخية العلمية في تاريخ سورية الحديثة التي قطعت في ظل قيادته اشواطا كبيرة على طريق بناء الصرح الحضاري وبناء الدولة العصرية على الرغم من الظروف الصعبة التي تحيط بسورية والمؤامرات التي تحاك ضد قضية الامة العربية التي تشكل سورية وجدانها .

ان القطر العربي السوري قد حقق في انجازه الجديد بلوغه الفضاء مكسبا جديدا له وللامة العربية ، يرسخ من مكانته ويزيد من فعالية دوره في الوطن العربي والعالم ، ولقد اصبح اسم سورية وقائدها الرفيق المناضل حافظ الاسد واحدا من ابرز الاسماء شهرة ومكانة في العالم .

ان سورية التي دخلت عالم الفضاء مستمرة في مسيرتها النضالية على طريق البناء والدفاع والتحرير حتى يتحقق النصر لجماهيرنا العربية ببلوغ اهداف امتنا في الوحدة والحرية والاشتراكية .

وكان القطر العربي السوري قد استقبل رسميا وشعبيا رواد الفضاء العرب السوريين وزملاءهم رواد الفضاء السوفيات في الرحلة الفضائية المشتركة .

● اكد الرفيق عبد الله الاحمر الامين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي اننا في سورية نجدد العهد على الاستمرار في دعم مسيرة لبنان وبذل كل ما في وسعنا من جهود المساعدة في توحيد الصف الوطني ليكون اكثر مناعة امام هجمات عملاء « اسرائيل » ، وادواتها منطلقين في ذلك من الحقيقة الخالدة التي كان رشيد كرامي يرددها دائما .

وحيا الرفيق العام المساعد في كلمته التي القاها في المهرجان الوطني والعربي الذي اقيم في طرابلس الشام التي يحق لها ان تفخر بانها انجبت ورعت مناضلا كرشيد كرامي كان موقفه القومي تجاه العلاقات مع سورية ومع بقية مناطق الوطن العربي هو المحور الذي ارتكزت عليه اهتمامات الفقيد السياسية والنضالية .

وشدد الرفيق الاحمر على انه يجب التعامل مع جريمة اغتيال كرامي لاكحادثة عادية تنسى مع مرور الوقت وانما كجريمة سياسية ارتكبها دعاة التقسيم عملاء « اسرائيل » بهدف ضرب وحدة لبنان وسد طريق الوفاق الوطني بين اللبنانيين وان اكتشاف الجهات التي خططت لهذه الجريمة ونفذتها هي مسالة سياسية لها اولويتها امام اي تحرك سياسي مقبل .

منظمات الحزب القومية داخل الوطن العربي

القطر اللبناني

● اعلنت الاحزاب الوطنية والتقدمية اللبنانية في مؤتمر صحفي حاشد عقد في بيروت عن ولادة جبهة التوحيد والتحرير لمواجهة متطلبات المرحلة القادمة على الساحة اللبنانية .

وقال بيان القاه الرفيق عاصم قانصوه الامين القطري لمنظمة حزب البعث العربي الاشتراكي في مستهل المؤتمر ان اغتيال الرئيس رشيد كرامي يمثل منعطفا اساسيا في مسار الازمة اللبنانية يلقي بثقله على مختلف الصعد السياسية . وبانعكاساته على تطورات الاحداث وامتداداتها في لبنان والمنطقة .

واضاف ان جريمة الاغتيال تأتي في سياق المعركة السياسية العسكرية التي تخوضها « اسرائيل » والقوى المتحالفة معها كما تمثل ردا صهيونيا على الخط العربي الصامد والمقاوم الذي تمثله سورية بالتحالف مع الحركات والاحزاب والشخصيات الوطنية اللبنانية وهو من دون شك الرد الصهيوني على اتفاق السابع عشر من ايار وانكفاء الاحتلال الصهيوني واخراج القوات متعددة الجنسيات من لبنان .

واعلن في نهاية البيان البرنامج السياسي الموحد لعمل جبهة التوحيد والتحرير ..